



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي

قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

سيمائية المكان في رواية "الميراث" لسحر خليفة

مذكرة تخرّج مقدمة لنيل شهادة ليسانس في اللغة العربية وآدابها تخصص دراسات أدبية

إشراف الدكتور:

عقيلة قرورو

إعداد الطالبة:

رجاء بن عمر

السنة الجامعية: 1437هـ - 1438هـ / 2016م - 2017م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وعرفان

بِالله الحمد والمنة والفضل جميعا

لم تكن مسيرتي البحثية هذه فردية بل ازوجت بين الفكرة والدافع
فكنت أنت أفضل محفز.....ألف شكر وتقدير لأستاذتي قرور عقيلة
بين المد والجذر، بين المواصلة والتراجع، كنت أنت بمثابة نبراس لغرس
روح التحدي والمواصلة.....

إليك شكري الفائق وامتناني الخالص لأستاذتي الفاضلة.

مقدمة

شكل المكان بؤرة فنية وباعثا ملهما لكثير من الأدباء، فهو مسرح الأفعال وفق العلاقة الجدلية بين الإنسان ومكانه، سواء أكانت بالنفور أو بالحببة أم بالارتباط.

والروائي هو إنسان تربطه علاقات ولاسيما بمكانه، علاقة تختلف عن باقي علاقات الناس جميعا، لأنه له رؤيته الخاصة بالمكان، بحيث أضحي المكان ينطق بكل ما يحس به ويراه هذا الروائي. والمتتبع لأهمية هذا العنصر "المكان" في العمل الروائي يرى أنه حينما يفقد المكانية فهو يفقد خصوصيته وبالتالي أصالته، رغم ما ظل شائعا لفترة طويلة في المقاربات النقدية من انصباب الاهتمام في معالجة الرواية على عناصر الشخصيات والحدث والزمان، لكون الرواية فنا زمنيا خالصا، إلا أن الملاحظ هو تزايد الاهتمام بالناحية المكانية، وخاصة فيما يتعلق بجماليات المكان بحيث أصبح المكان موضوعا مهما هو الآخر للدرس النقدي الحديث والمعاصر.

ومن هنا اكتسب المكان أهميته في العمل الروائي ليس بحكم كونه أحد عناصره الفنية الرئيسية والعنصر الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك ضمنه الشخصيات فحسب، بل لأنه يتحول في العمل الروائي المتميز إلى فضاء يحوي كل عناصر ذلك العمل، والعلاقة القائمة فيما بينها وبمنحها المناخ الملائم الذي تتفاعل فيه الشخصيات وتعبّر عن وجهة نظرها، وانطلاقا من هذه الأهمية يتحول المكان من مجرد كونه عنصرا من عناصر العمل إلى الهدف كله، كما يستمد هذا الأخير دوره بالغ الأهمية في الروائي، كذلك من أهميته في الواقع الإنساني نتيجة الارتباط الوثيق بين "المكان" والإنسان منذ القدم.

وهذا ما يجعل المكان من أهم العناصر التي تشكل جمال النص، إذ أن المكان الجغرافي يبني على لغة لتشكيل النص عبر الجمالية المكانية، حيث تبرز تعامل الروائي مع العنصر المكاني وجوانب رؤيته له، والأهداف المتوخاة من ذلك، وتعد الروائية الفلسطينية سحر خليفة، واحدة من هؤلاء الذين اهتموا بالمكان صياغة ودلالة، والمتتبع لأعمالها الروائية يجد سطوة عنصر المكان على جل مدونتها وخاصة رواية "الميراث" التي جعلت من العمل ركيزة وقاعدة هذه الرواية، وذلك من خلال تجسيدها للمكان وتشكلاته وتمظهراته نصوصها الروائية.

ولمحاولة التعرف على أهم ما يميز توظيف الروائية التقنية المكان في رواية "الميراث"، طرح البحث عدة إشكاليات منها: ما المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمكان؟ وما علاقة السيمياء بالمكان؟ وكيف تشكل المكان في رواية الميراث؟ وما هي أهم تمظهراته؟ وما علاقة المكان بباقي عناصر العمل الروائي؟ وما الدلالات التي حملتها هذه الأمكنة الموظفة في النص؟ وغيرها من الأسئلة التي زاحمت بعضها البعض في محاولة منها لاستجلاء روح المكان عند سحر خليفة من خلال مدونتها "الميراث".

للإجابة على هذه التساؤلات، اعتمد البحث على جملة من المصادر والمراجع، ففي جانبه النظري اعتمد على ما يلي:

- باديس فوغالي في الزمان والمكان في الشعر الجاهلي.
- عبد الله زيد صلاح في دلالة المكان في الشعر اليميني المعاصر.
- حسن مجيد العبيدي في نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية.

وغيرها من المراجع، أما فيما يخص الجزء التطبيقي فقد اعتمد على حميد لحميداني في بنية النص

السردي:

- مهدي عبيدي في جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا.
- ياسين نصير في الرواية المكان.
- حسن بحرأوي في بنية الشكل الروائي.

ولقد أفرزت هذه القراءة لهذه المراجع خطة على الشكل الآتي:

بحيث احتوت على فصلين: الفصل الأول النظري المعنون ب: المكان وفلسفته، وانطوى تحته مبحثين الأول بعنوان المكان بين الماهية والمفهوم أما المبحث الثاني تحت عنوان علاقة المكان بالسيمياء، أما الفصل الثاني التطبيقي فجاء موسوما بعنوان: تجليات المكان في رواية الميراث، واحتوى هو الآخر على مبحثين الأول عالج دلالة المكان في رواية الميراث أما الثاني فجاء بعنوان المكان وعلاقاته النصية في رواية الميراث، واختتمت هذه الدراسة بخاتمة كانت بمثابة حوصلة لأهم النتائج

المتوصل إليها. واستعان البحث بالمنهج السيميائي للاستقصاء والتأويل واستخراج الدلالات، ولا ننفي حضور بعض المناهج الأخرى عندما يتطلب ذلك الأمر والحاجة.

وقد اختار البحث أن يدرس سيميائية المكان في رواية "الميراث" لعدة أسباب:

- الرغبة في دراسة الرواية الفلسطينية والنسائية منها.

- الروائية سحر خليفة وكتابتها بتقنية سردية جمالية عالية ويتجلى ذلك من خلال مدونتها "الميراث"

- محاولة النظر إلى هذه الرواية موضوع الدراسة من زاوية غفل عنها آخرون.

أما فيما يخص الصعوبات فقد واجه البحث العديد من الصعوبات منها كثرة المادة العلمية

الأمر الذي صعب انتقاء الأفضل منها وغيرها من الصعوبات ولكن تم تجاوزها بفضل الله.

إن كان من واجب الباحث الاعتراف بالفضل والشكر فإنه لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر

والامتنان للأستاذة عقيلة قرور التي كانت لتوجيهاتها القيمة الأثر الكبير في هذا البحث، ولكل من

ساعد في انجازه وإخراجه بالصورة التي بين أيديكم.

الفصل الأول: المكان وفلسفته

المبحث الأول: المكان بين الماهية والمفهوم

أولاً: المكان لغة

ثانياً: المكان اصطلاحاً

ثالثاً: أهمية المكان في البناء الروائي

رابعاً: أنواع المكان

خامساً: أبعاد المكان

سادساً: دلالات المكان

المبحث الثاني: علاقة السيمياء بالمكان

أولاً: مفهوم السيمياء

ثانياً: سيميائية المكان

مدخل

للمكان دور هام في بناء العمل الروائي، إذ يعد العمود الفقري الذي يربط أجزاء العمل بعضها ببعض، كما يعتبر الأرضية التي تتحرك عليها الأحداث، فيعد الجغرافية الخلاقة للعمل الروائي، فهو لم يعد مجرد أبعاد هندسية أو حدود مرسومة على الواقع بل أصبح يحصل العديد من الدلالات والأبعاد، وهذا التحول والإهتمام للعنصر المكاني تجلّى كثيرا مع المنهج السيميائي الذي أعطاه الأهمية والأولوية والقيمة بارزة في العمل الروائي بحيث خرج وابتعد بالعنصر المكاني من مفهومه المحدود والضيق إلى أبعاده ودلالته التي يحملها في طياته، وهذا الأخير هو ما سيكون محور هذه الدراسة حول رواية الميراث للروائية الفلسطينية، ولقد ركزنا على العنصر المكاني نظرا لأهمية المكان وخصوصياته وأبعاده في جميع الاعمال الروائية للفلسطينيين وسحر خليفة واحدة منهم لأن الواقع الذي تعيشه الروائية داخل فلسطين المحتلة 1967م وتمكنهم بالبقاء ورفضهم للإحتلال وتغييره لمعالم الإنسان والمكان على حد سواء هذا ما دفعها إلى ابراز هذا العنصر ونقصد المكان وسيميائيته وجماليته وذلك عكس ما يريده الأعداء من طمس للمكان.

الفصل الأول: المكان وفلسفته

المبحث الأول: المكان بين الماهية والمفهوم

أولاً: المكان لغة

وردت كلمة مكان في القرآن الكريم في أكثر من سورة وفي كل واحدة تحمل معنى مستقلاً بذاته فمنها:

مادار حول (الاتجاه): كقوله تعالى ﴿فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا﴾¹، وانتصب (مكاناً) على أنه مفعول انتبذت لتضمنه معنى حلت، والمعنى ابتعدت عن أهلها في مكان شرقي... وأما التصدي لوصفه بأنه شرقي فلإشارة على أصل اتخاذ النصارى الشرق قبله لصلواتهم إذ كان حمل مريم بعيسى في مكان من جهة الشرق².

1- ما دار حول (المساحة):

كقوله تعالى ﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾³، نجد وصف المشركين داخل جهنم بقوله مكاناً ضيقاً.... وانتصب "مكاناً" على نزع الخافض، أي مكان ضيق⁴.

2- ما دار حول (السافة):

كقوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا﴾⁵ و"قصياً" بعيداً، أي بعيداً عن أهلها.

¹ سورة مريم، الآية 16

² محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة 1984م، مج 16، ص 84.

³ سورة الفرقان، الآية 13.

⁴ محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، مج 18، ص 334.

⁵ سورة مريم الآية 22.

في ضوء ما سبق وجدت لكلمة " المكان " أكثر من معنى ودلالة سياقية، على سبيل المثال وليس الحصر (الاتجاه المساحة، المسافة)¹.

أما في المعاجم اللغوية فلقد وردت كلمة بمعاني مختلفة منها على سبيل المثال لا الحصر ما ورد في لسان العرب: المكان الموضع، والجمع أمكنة كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع... ويقول يذهب الليث إلى المكان في أصل تقدير الفعل مفعول لأنه مَوْضِعٌ لكيثونة الشيء فيه غير أنه لما أكثر أجروه في التصريف مجرى فعال، فقالوا مكناً له وقد تمكن².

أما عند ابن دريد (ت 321) فقد توسع في عرض مفهوم (المكان) من وجهة نظراً أخرى، وتحت مادة (كمن) وليس (مكن)، فقال: (كمن الشيء في الشيء)، وكمن يكمن كُمنواً إذا توارى فيه، والشيء كامن، ومنه سمي كمين في الحرب، وكل شيء استتر بشيء، فقد كمن فيه.... والمكان مكان الانسان وغيره... ولفلان مكانه عند السلطان أي المنزلة، ورجل مكين من قوم مكناء عند السلطان.

وبهذا نجد أن ابن منظور جاء معنى المكان عنده بالموضع.³

أما ابن دريد قد عدّ لفظة المكان محتواه في مادة (كمن) الدالة على الإحاطة والاستتار فأشار إلى المفهوم الواقعي لها ثم أشار إلى المفهوم المجازي بدلالاتها على المنزلة العالية ضمن لفظة (مكانة). نخلص مما سبق في طرحنا للمفهوم اللغوي والقرآني للمكان إلى معاني كثيرة ومتنوعة منها: الاتجاه والمسافة والمساحة والموضع، والمكانة، الإحاطة، الاستتار.

¹ محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، مج16، ص84.

² محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، لسان العرب، مج6، دار صادر، بيروت، بستان، ط1، سنة، 1997م، ص83.

³ جبهة اللغة، مادة كمن، ج3.

ثانيا: المكان اصطلاحا

أ- المفهوم الفلسفي للمكان:

يستحضر حسن مجيد الربيعي في كتابه الموسوم بنظرية المكان في فلسفة ابن سينا جملة من التعريفات لأهم فلاسفة الغرب والمسلمون¹، نقتطع منها ما يلي:

إقليدس: فإنه ذو ثلاثة أبعاد هي الطول والعرض والعمق.

أفلاطون: فقد صرح بن أفلاطون إذ عده حاويا وقابلا للشيء.

ديكارت: يراه بنفس رؤية إقليدس أن الحكاة الممتد في الأبعاد الثلاث و الإمتداد الغير متناهي².

ومن خلال عرض الباحث للبعض آراء الفلاسفة الغربيين الذين تناولوا مسألة المكان في أبحاثهم أن مفهوم المكان سواء أكان المقصود منه محلا أو حاويا أو ممتدا هو اصطلاح أنشأه الإنسان لكي يحدد موضعه في المكان لكي يفهمه فهما عقليا، ويضيف لم تجد اللغة والفلسفة مفردة تدل دلالة واحدة متميزة على حاوي الأشياء غير مفرد المكان نفسها فلفظة المكان إذن ذات دلالة تعبر تعبيرا واضحا عما يراد منها³.

ب- المفهوم النقدي للمكان:

حاول النقاد الغربيون التمييز بين هذه المصطلحات الآتية والتي وقف عندها النقاد إزاء مصطلح المكان:

1. يوري لوتمان:

«يراه على أنه مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشكال ، والصور و الدلالات المتغيرة التي تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الإمتداد والمسافة».

¹ باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، أربد، الأردن، ص171.

² حسن مجيد العبيدي، نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية، ابن سينا أمودجا، دار نينوى، سورية السنة، 2007، ص19.

3

- العلاقات التي يعينها " لوتمان " في هذا التعريف هي الطبقات المكانية أو الثنائيات الضدية، كالألفاظ القريب، البعيد، فوق، تحت، يمن، يسار... الخ.

2. غريماس:

فقد انطلق في مفهومه للمكان من منطلق الرؤية، إذ يرى أنه، أي الفضاء النصي، حسب اقتراحه موضوع مهيكلي يحتوي على عناصر متقطعة غير مستمرة، لكنها منتشرة عبر امتداده وفق نظام هندسي متميز يسهم في تصوير التحولات و العلاقات المدركة والمحسوسة بين الذوات الفاعلة داخل الخطاب السردي¹.

أما عن نقاد العرب فقد جرى لفظ مكان على ألسنة بعض نقادنا تماشياً مع ما درجت عليه الكتابات العربية، كونه الأقرب إلى الاستعمال في اللسان العربي.

3. سيزا قاسم: والتي خصصت في كتابها «بناء الرواية».

فصلاً تناولت فيه المكان وأهميته عند نجيب محفوظ (البناء المكاني و أساليب تجسيد المكان ودلالته وهي تقول «إننا التزمنا في هذا البحث استخدام كلمة المكان اتساقاً مع لغة النقد العربي»²

4. عبد المالك مرتاض:

فقد رأى « هو كل ما عني حيزاً جغرافياً حقيقياً، من حيث نطلق الحيز في حد ذاته على كل فضاء جغرافي، أو أسطوري أو كل ما يدل عن المكان المحسوس، كالخطوط والأبعاد والأحجام والأثقال والأشياء المجسمة مثل الأشجار الأنهار وما يعتور هذه المظاهر الحيزية من حركة أو تغير». ثم يضيف مفرقا بين المكان والحيز، إذ يرى أن المكان يدل على ما هو جغرافي ماثل بتفاصيله، أما الحيز فيدل على ما هو غير ذلك في النص، ويعني الحيز النصي المشكل من سرد ووصف وحوار وما إلى ذلك.³

¹ باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر جاهلي عالم الكتاب الحديث، الأردن، سنة 2008م، ص75.

² سيزا أحمد قاسم: بناء الرواية، مطبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، د ط، سنة 1985، ص78.

³ عبد المالك مرتاض في تحليل الخطاب السردي، معالجة تفكيكية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص245.

مما سبق نخلص إلى المفهوم النقدي للمكان من منظور النقاد قد تعدد وكل يراه حسب رأه الخاصة.

- فعند يوري لوتمان اعتد في مفهومه للمكان على الثنائيات الضدية أما عند فريماس تجلى مفهوم المكان في تحول العلاقات المدركة والمحسوسة داخل العمل السردي.
- أما عند عبد المالك مرتاض فقد ذهب المفارقة بين المكان والحيز.

ج- المفهوم الأدبي للمكان:

يقول الكاتب ياسين نصير « إن المكان ومنذ القدم وحتى الوقت الحاضر كان المكان هو القرطاس المرئي القريب الذي سجل عليه الإنسان ثقافته وفكره وفنونه ومخاوفه وأماله وأسراره وكل ما يتصل به وما وصل إليه من ماضيه ليورثه». ¹

«... إن فاعلية المكان كتجربة لا تقف عند حدود المكان الجغرافية وتشكيلاته السطحية، ولكنها تتعدى ذلك لتتوغل في الذات وحواسها المختلفة بسبب ما تختزله من مشاهد وصور تلامس الوجدان، وتعبّر عن معاناة الذات وتحمل الرؤى والأفكار في نطاق تداعيات علاقاتها المميزة بآثار خصائص المكان الباعثة للإبداع في مستويات التصويرية والدلالية الظاهرة والعميقة». ²

«إن المكان في الأدب ليس مجالاً هندسياً، تضبط حدوده وأبعاده قياسات خاضعة لحسابات دقيقة كما هو الشأن بالنسبة إلى الأمكنة الجغرافية ذات المواصفات الطبوغرافياً». ³

من خلال التعريفات السابقة نجد أن المكان في مفهوم الأدبي تعد من المفهوم العلمي والفلسفي إلى مفهومه الفني والمعنوي، لم يعد مقتصر على احتواءه للأجسام بل أصبح سجل الإنسان الفكري والثقافي والفني له.

¹ ياسين نصير: الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي، دار نينوي للدراسات والنشر والتوزيع، سورية، دمشق، سنة 2010، ص 70.

² عبد الله زيد صلاح: دلالة المكان في الشعر اليميني المعاصر، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، ط 1، عمان، الأردن، سنة 2014، ص 18.

³ ياسين فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، إربد- الأردن، سنة 2008، ص 181.

ثالثا: أهمية المكان في البناء الروائي

- يعد العمل الروائي بعناصره كلاً منسجماً فكل العناصر المكونة للعمل الروائي تتدخل فيما بينها ومن بين تلك العناصر المكان الذي يعد من أهم عناصر البناء الروائي بتفاعله مع باقي العناصر ليخرج بنتائج موحية لعدد من الدلالات وتتجلى أهمية المكان في العمل الروائي فيما يلي:

«... إن مكان الرواية ليس المكان الطبيعي ، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة»¹.

«... المكان في العمل الفني شخصية متماسكة ، ومسافة مقاسة بالكلمات ورواية لأمر غائرة في الذات الاجتماعية ولذا لا يصح غطاء خارجياً أو شيئاً ثانوياً، بل هو الوعاء الذي تزداد قيمته كلما كان متدخلًا بالعمل الفني، والروايات والقصائد التي تحسن استخدامه إنما تسجل جزءاً من تاريخية الزمن المعاصر، وبعبءه سيكون المكان عند كاتب عاد مجرداً من معناه الفلسفي والفكري المكون ويعد المكان هو الجغرافية الخلاقة في العمل الفني»².

«ويكتسب المكان أهمية في العمل الروائي ليس بحكم كونه أحد عناصره الفنية الرئيسية والعنصر الذي تجري فيه أحداثه وتتحرك خلاله شخصياته فحسب ، بل إنه يتحول في العمل الروائي المتميز الذي تجري فيه أحداثه وتتحرك كل عناصر ذلك العمل والعلاقات القائمة فيما بينها ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه وتعب عن وجهة نظرها والمكان في هذه الحالة ليس مجرد خلفية وموضعا للأحداث كقطعة قماش بالنسبة إلى اللوحة، بل يكون كالفضاء الذي تضعه تلك اللوحة ، وانطلاقاً من هذه الأهمية قد يتحول المكان من مجرد كونه عنصراً من عناصر العمل الفني ليكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»³.

¹ سيزا قاسم: الروائية، دراسة مارنة لثلاثية نجيب محفوظ، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، سنة 1978م، ص73.

² ياسين نصير: الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي، دار نينوى، ط2، سورية، دمشق، سنة 2010م، ص70.

³ رضا السيد عشموي محمد: رؤية المكان في روايات يوسف السباعي، كلية الآداب المنصورة، سنة 2016م، ص14.

يرى حسن بحراوي « أن المكان واحداً من أهم عناصر الرواية ، وهو شرط من شروط العمل الروائي ، فلا يكاد يخلو من الإشارة إليه أو التصريح به، بالإضافة إلى كونه يمثل الخلفية التي تحتضن الشخصيات وتقع فيها الأحداث فإنه يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله»¹

من خلال مما سبق نلاحظ أن للمكان قد اكتسب مكانه هامة في العمل الفني والعمل الروائي على وجه الخصوص حتى أصبح هو القاعدة الذي يبني عليه العمل الروائي أو الهدف من وجود العمل كله

رابعاً: أنواع المكان

تتنوع الأمكنة ، وتتعدد الفضاءات، وبقدر ما يحمل المكان صفة الواقعية الحقيقية بقدر ما يتم استعمالها وتوظيفها بطريقة متخيلة مرتبطة برؤى الشخصيات الفكرية وبمخزون الذاكرة وأحياناً بالحلم وطيف الخيال ومن أنواع المكان الآتي:

أ. المكان الأليف:

ترتبط كينونة الإنسان علاقات عميقة بالأمكنة المشحونة بالذكريات والأحلام، وقد تكون مع أمكنة البدايات الأولى كالطفولة والنشأة أكثر ألفة وعمقا وأوسع التصاقا بالذاكرة لأنها تحتويها وتمنحها الأمان، و تسهم بفاعلية في تشكيل ملامحها وطبيعتها، وبالتالي فإن مادة المكان مسقط الرأس كما يقول باشلار هي امتداد وأنها تغطي أحلامنا ، بل إن الحلم من خلالها يكتسب مادته الحقيقية.

ب. المكان المعادي:

«... ذاكرة المكان المعادي تقترن بإشاعة القسم الغير مريح كالشعور باغتراب النفسي والرعب واليأس والضياع، على عكس ما تشيحه ذاكرة المكان الأليف من قيم ايجابية تتناغم مع

¹ حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990م، ص33.

إرادة الانسان وأحلامه وتشبع رغباته وتشعره بالدفء والأمن وهو ما يضعنا أمام مظاهر متعددة للمكان المعادي، وأشكال تتفاوت في درجة سلبية أبعادها البنائية الدلالية. وإن كانت جميعا تتآزر في التمكين من شعور الإنسان وفرض سلطتها العدائية على نمط حياته وشكل وجوده¹.

ولقد جاء في كتاب حسن بحراوي «بنية الشكل الروائي» تقسيم المكان إلى أماكن الإقامة وأماكن الانتقال.

1. أماكن الإقامة:

وهي على فرعين:

أ. أماكن الإقامة الاختيارية:

● فضاء البيت:

إذ يرى من الخطأ النظر إلى البيت كركام من الجدران والأثاث يمكن تطويقه بالوصف الموضوعي الانتهاء من أمره بالتركيز على مظهر الخارجي وصفاته الملموسة مباشرة... فالبيوت والمنازل تشكل نموذجاً ملائماً لدراسة قيم الألفة ومظاهر الحياة الداخلية التي تعيشها الشخصيات وذلك لأن بيت الإنسان امتداد له كما يقول ويليك: فإنك إذا وصفت البيت فقد وصفت الإنسان فالبيوت تعبر عن أصحابها، وهي تفعل فعل الجو في نفوس الآخرين الذين يتوجب عليها أن يعيشوا فيه.²

ب. أماكن الإقامة الإجبارية:

● فضاء السجن:

إن المتأمل في فضاء السجن، بوصفه عالماً لعالم الحرية خارج الأسوار، قد شكل مادة خصبة للروائيين في التحليل وإصدار الانطباعات التي تفيدنا في فهم الوظيفة الدلالية التي ينهض بها السجن

¹ عبد الله زيد صلاح في دلالة المكان في الشعر اليميني المعاصر، ط1، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، سنة 2014، ص111.

² حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، سنة 1990م، ص43.

كفضاء روائي معد لإقامة الشخصيات ، خلال فترة معلومة، إقامة جبرية، غير اختيارية في شروط عقابية صارمة.¹

أماكن الانتقال وهي على نوعين:

2. أماكن الانتقال العمومية:

● فضاء الأحياء:

من الواضح أن الأحياء والشوارع تعتبر أماكن انتقال ومرور نموذجية فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسرحاً لغدوها وروادها عندما تغادر أماكن إقامتها وعملها وتمتدنا دراسة هذه الفضاءات الانتقالية المبتوثة هنا وهناك في الخطاب الروائي بمادة غزيرة من الصور والمفاهيم ستساعدنا على تحديد سمة أو السمات التي تتصف بها تلك الفضاءات وبالتالي الإمساك بما هو جوهري فيها أي مجموعة القيم والدلالات المتصلة بها.²

3. أماكن الانتقال الخصوصية:

● فضاء المقهى:

تقوم المقهى، كمكان انتقال خصوصي، بتأطير لحظات العطالة والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما جددت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة، فهناك دائماً سبب ظاهرة أو خفي يقضي بوجود الشخصية ضمن مقهى ما.... ولا يتعلق الأمر هنا بإلزام شخصي أو اجتماعي يدعو إلى عثيان هذا الفضاء الإنتقالي فقد يحدث وذلك بمحض اختيار الإنسان الذي تحركت في العادة رغبة ذاتية ملحة.³

مما سبق نجد أن أنواع المكان عند حسن بحراوي على نوعين مكان الانتقال ومكان إقامة، فأما أمكنة الانتقال فتكون مسرحاً لأحداث مثل الشوارع والأحياء والمحطات، وأما أماكن الإقامة فتكون اجبارية وقد تكون اختيارية مثل البيوت والقصور

¹ المرجع نفسه، ص55.

² حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص

³ المرجع نفسه، ص91.

- من خلال ما سبق نخلص إلى أنواع المكان متنوعة ومتعددة فلا يمكن حصرها في هذه الوريقات فقد اتخذ المكان أكثر من تصنيف تبعاً لانتمائه لنوع الأدبي أو الجنس الحياتي، وفي كل صنف تتشكل صفات جديدة وآليات لمقارنته قد تتداخل وقد تتنافر لكنها في مجملها هي كمظاهرات لعلاقة الإنسان مع هذا الفضاء الواسع.

خامساً: أبعاد المكان

إن المكان عند ارتباطه بعناصر العمل الروائي وبانسجامه تفاعله معها يصبح ذو أبعاد عديدة ومن ضمن هذه الأبعاد:

أ. البعد الجغرافي:

هو تحديد المكان تحديداً دقيقاً بذكر الحدود والعلامات التي تمنع أي لبس يكون سبباً في تشابه مع أماكن، ويميل الكاتب للتحديد الجغرافي الصارم عند الحديث عن أماكن درست ودالت دولتها، ومن المستحيل استطاعة القدرة التخيلية للمتلقى استحضارها بالشكل الذي يريده الكاتب.¹

ب. البعد الاجتماعي:

يجعل من المساحة الكونية للمكان مساحات بشرية ويرى مصطفى الضبع أنها "محددة بسمات اجتماعية تجعل لها ملامحها المميزة والفارقة عن غيرها والنص الأدبي نفسه يكاد يكون مجتمعاً قائماً بذاته، يضم فئات اجتماعية متباينة، وتظهر ملامح المجتمع من خلال علاقة المجتمع بالمكان بحيث يصبح عاكساً لطبيعة ذلك المجتمع باعتباره جزءاً منه".²

ج. البعد التاريخي:

هو الزمن الكامن في المكان، فالزمن يلتصق بالمكان التصاقاً شديداً ويمثل المكان بالنسبة له خطاً أفقياً أو قصبانياً حديدية فيغير بظلاله من صورتها.³

¹www.fawlty. Ksu.edu

²منال بنت عبد العزيز: الذات المروية على لسان الأنا، ص202.

³www.fawlty.ksu.edu

د. البعد النفسي:

هو ذلك البعد العاكس للانفعالات السلبية والإيجابية التي يثيرها المكان في نفس المقيم فيه فعادة ما يرتبط المكان على مستوى الرمز ببعض المشاعر والأحاسيس بل ببعض القيم السلبية أو الايجابية فهناك أماكن محببة، وهي بمثابة المرفأ والملاذ أهمها البيت بلا شك رغم أنه مغلق، وهناك أماكن مكروهة¹.

هـ. البعد الهندسي:

تذهب الناقدة " سيزا قاسم " إلى أن الرواية تشبه كبقية الفنون التشكيلية في تشكيلها للمكان ولأن المكان الروائي متشكل أساسا من مادة لغوية، فهو أقل خضوعا للصرامة الرياضية أو الهندسية، وأكثر تقلبا وانسيابا خارج منطق الضبط والمقاييس ويساعده في ذلك حرية الروائي في تشكيله كيفما شاء².

و. البعد الفيزيائي:

يستثمر الروائي عناصر الفيزياء، وتشكيلاتها لخلق أبعاد دلالية للرواية ويبدو هذا الإستثمار في استخدام العامل الفيزيائي في إظهار المكان أو الكشف عن صفاته، باستخدام الصور ذات العناصر الفيزيائية لتقوم بتهدئة السردية والتخفيف من حدة الأحداث ومن خلال بث صورة بصرية تتسم بالرومنسية³.

سادسا: دلالات المكان

يشكل المكان الرحم الذي يتشكل به العمل الأدبي ، ليتحول هذا التشكل وفق علاقات ديناميكية متسارعة بين كل من المبدع والنص والمتلقي إلى ثراء شعوري ووجداني مترامي الأطراف الفنية والأدبية إلا أن هذا التمظهر الأدبي والفني يحمل في ثناياه كثيرا من الدلالات التي ترتبط بصورة أو بأخرى بالمكان ومن بين دلالات المكان نورد بعضها:

¹www.faculty.ksu.edu

²بوادي هنية: صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، ص36.

³منال بنت عبد العزيز، مرجع سابق، ص201.

أ. الدلالة الدينية:

تعتبر الدلالة الدينية من أهم الدلالات التي ترتبط بالمكان، ولا سيما وأن الدين يشكل مرتكزا أساسيا في ثقافات الشعوب، فانفتاح المكان على المقتبس، يتجه إلى البحث في علاقة التجربة الشعرية بالنص المقتبس، باعتباره أساسا دينيا استلهم علاقة المكان بأحد المكونات الثقافية الأساسية¹.

ب. الدلالة التاريخية:

يتمثل تفرد الأديب بعملة الفني عبر إعادة قراءة الماضي وتاريخه وفق رؤية الواقع الحالي التي تنسجم مع روح الشعر وخصوصيات الكتابة فيكون هذا التداخل بين اللغوي التاريخي لإضافة نصية جديدة وحقيقية، إن الإضافة النصية الجديدة هي التي تتجاوز الحاضر والماضي لترسم ملامح المستقبل، عندها تبرز مفارقة حقيقية بين الماضي والحاضر والمستقبل لتؤسس لرؤى شعرية تملك تفردا تميزا جديدا لا ينفصل تاريخه، بل هو يؤسس بمرحلة تاريخية جديدة.²

ج. الدلالة التعبيرية:

تعني التعبيرية في حد ذاتها بالخيال الذي يجعل الأشياء الجامدة نابضة بالحياة، كما بإمكاننا تحويل من يملكون الحياة إلى أجسام خيالية لا أرواح فيها أول ما ظهر المصطلح ظهر في فرنسا عام 1910م.

إذا ابتدعه الفنان الفرنسي " هارف " ولقد استعمله الكاتب النمساوي " هارمن " في الأدب

العام عام 1914 م .

¹ جيهان عوض: جماليات المكان في شعر البرغوثي، قدم اللغة العربية وآدابها مسار الأدب والنقد، جامعة قطر، سنة 2014م، ص44.

² جيهان عوض: المرجع نفسه، ص45.

واهتمام التعبيرية يصب فيها تركه من أثر في متلقيها لأنها تعتمد أساسا «على وقع الأشياء والإحساس بها وما تثيره من إحساس لدى المتلقي، وذلك من خلال تحديد خصائصه ومميزاته و إيجاد الحلول الجمالية في ضوء ذلك»¹.

وبناء على ما سبق أصبح المكان مسرح الأحداث التي تضعها الذاكرة التاريخية وما يحمله من قداسة دينية وما يعبر عنه من إحساس لدى المتلقي من خلال ارتباطه بالدين والهوية والكينونة والوجود.

¹ سعدية بن يحيى: لالة المكان في عابر سرير الأحلام مستغانمي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، سنة 2008م، ص20.

المبحث الثاني: علاقة السيمياء بالمكان

أولاً: مفهوم السيمياء

أ. لغة:

إذا عدنا إلى المعاجم العربية نجد مصطلح السيميائية في لسان العرب لابن منظور مأخوذة من مادة (س، و، م) حيث قال "السومة والسمة" والسيمياء والسيميائية تعني العلامة وقال الجوهري (1005/383) السومة بالضم، العلامة تجعل على الشاة وفي الحرب أيضا¹

وكذلك نجد قاموس المحيط ل" فيروز آبادي "ورد فيه " تسوم الفرس تسوما: أي جعل عليه سيمة وسوم الخيل، أرسلها"²

أما المعجم المفصل في الجموع ل" اميل بديع يعقوب" ورد فيه " السيمة العلامة على صوف الغنم،"³

وفي تقديري أن كلمة "السمياء" لم تخرج عن معنى العلامة حسب ما ورد في المعاجم العربية

ولقد وردت لفظة السمة بهذا المعنى في ستة مواضع في القرآن الكريم نورد منها ما يلي

قال تعالى: " تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً"⁴ وعنى تعرفهم بسيماهم أي بعلامة

الحاجة والخطاب لغير معين ليعم كل مخاطب⁵

قال تعالى: " رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة"⁶ والسيما بقصر السمة أي

العلامة، أي بعلامة ميز الله بها أهل الجنة وأهل النار⁷

¹ ابن منظور: لسان العرب، مادة (س و م)، ص 312.

² الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ج4، ص90.

³ اميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في الجموع، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 سنة 2004، ص 236.

⁴ سورة البقرة، الآية 274.

⁵ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر والتوزيع، ج3، ص 75.

⁶ سورة الأعراف، الآية 46.

⁷ محمد الطاهر بن عاشور: مرجع سابق، ج8، ص143.

ومن الملاحظ أن كلمة السيمة لم تخرج عن معناها العلامة كما هو معناها في المعاجم العربية المذكورة سالفًا

ب. اصطلاحاً:

إن السيميائيات علم واسع، وشامل، وجامع في طياته لكثير من العلوم، ولذلك فالمجال السيميولوجي لا يزال الناس فيه بين أخذ ورد، بسبب أنه لم يحدد بعد، فإنه من الصعب جداً وضع مفهوم محدد للسيميائيات، " هذه الأخيرة التي يعلم الكل أنها تعني "علم العلامات" لكن مشكلة متعلقة بهذه العلامات، التي هي أصل الوجود والتي تمس جل جوانبه

رغم هذا سنحاول وضع بعض التعاريف التي اقتربت من السيميائيات ولو جزئياً ولعل أهم محاولة لتعريف هذا العلم كانت مع:¹

فردينانددي سويسر:

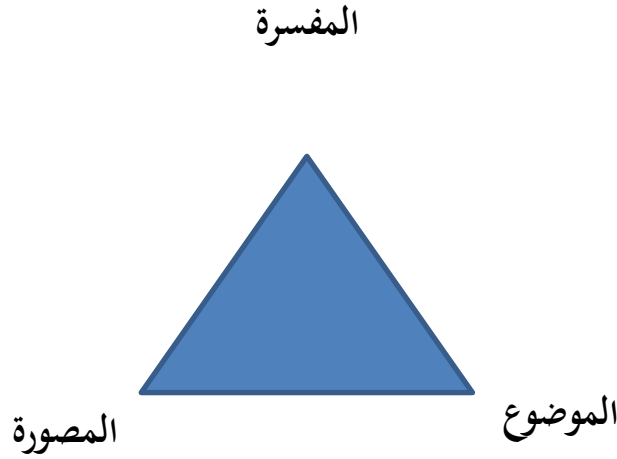
هو من بشر بهذا العلم الجديد، الذي ستكون مهمته دراسة حياة العلامات داخل المياه الإجتماعية، يقول "إن اللغة نسق من العلامات التي تعبر عن الأفكار، وإنها لتقارن بهذا مع الكتابة ومع أبجدية الصم والبكم، ومع الشعائر الرمزية، ومع صيغ اللباقة، ومع العلامة العسكرية (.....). وإننا لنستطيع أن نتصور علما يدرس حياة العلامات في قلب الحياة الإجتماعية، وإنه العلاماتية، إنه سيعلمنا مما تتكون العلامات وأي القوانين تحكمها²

تعتبر نظرية " بيرس ch.spierce" السيميوطيقة نظرية جامعة لأنها أوسع نطاقاً من سويسر، ولأن بيرس جعلها تتجاوز علم اللغة في صورة شمولية، وأكثر تعميماً وبوصفها كيانا ثلاثي المبنى يتكون من (المصورة representamen) وتقابل الدال عند سويسر و(المفسرة

¹ فيصل الأحمر: معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، سنة 1431هـ / 2010م، ص16.

² المرجع نفسه، ص 17.

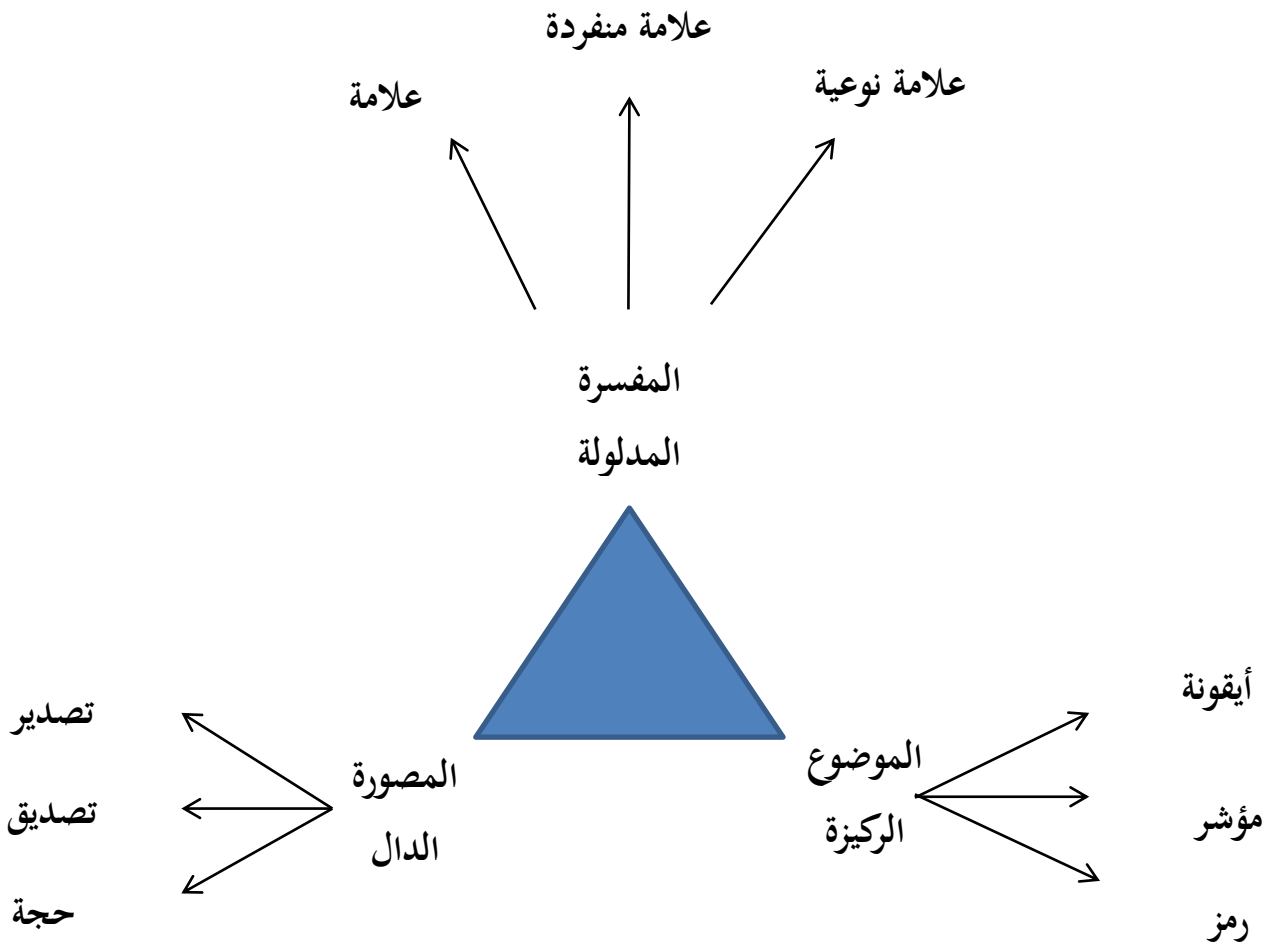
(interpretant)، وتقابل المدلول عند سويسر، (الموضوع objet) ولا يوجد له مقابل عند سويسر وقد ميز بين نوعين من الموضوعات:¹



وخضعت تلك العناصر المحددة للعلامة عند بيرس إلى تفرعات ثلاثية حسب الشكل الآتي:



¹كمال جدي: المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك، قسم اللغة والآداب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، سنة 2011/2012، ص 23، (رسالة ماجستير مخطوط).



وهذا التنوع عند بيرس (الأيقونة، المؤشر، الرمز) يقترب من التقسيم الثلاثي للدلالات عند العرب (الوضعية، العقلية، الطبيعية)، ويعتبر أكثر انتشارا وفاعلية في مجال الدراسات السيميائية الراهنة.

ويمكن تلخيص النظرية البيرسية للعلامة من منطلق العلاقة القائمة بين المصورة والموضوع في تمثيلها بـ: صورة فوتوغرافية ورقة تحيل إلى شخص ما على وفق التشابه (أيقونة)
 - ارتباط الدخان بالنار، وارتباط الآثار بمرور أناس على المكان (إشارية).
 - ارتباط الحمامة البيضاء بالسلام، والشمس بالحرية إن نظرة بيرس للعلامة تربط العلامة بنفسها (رمزية) ولا تحيل على شيء سوى علامات أخرى، وينطلق منها لتعريف جميع عناصر العالم الحسية والملموسة المفردة المتشابكة ومن فيها الإنسان بمشاعره وأفكاره¹.

¹ كمال جدي، المرجع السابق، ص 24.

" إن السمياء في المفهوم الغربي، لا تخرج عن كونها معرفة للعلامات، ونظرية عامة التمثيل العلامي، في كل صورة وتجليتها عند الحيوان أو البشر"¹

وبخصوص هذا المصطلح ومراد فاته، أورد عبد المالك مرتاض مصطلح علامة (Marque) وقاربه باللفظ، سمة (signe) ثم حاول استخلاص أوجه الاختلاف بين المصطلحين من ذلك " أن العلامة تتصرف إلى معنى قريب من مادة (رسم) دون أن يكون في الإستعمال العربي ولعله أن يكون أتيا من (العلامة والعلم)

بمعنى الجبل ومنه أخذوا علامة الثوب لدى القصار حتى نميز الأثواب بعضها عن بعض² والشيء الذي تلاحظه على الناقد عبد المالك مرتاض أنه لم يجعل نفسه حبيسا لأفكار الدارسين الغربيين، وإنما تعدى ذلك إلى التنقيب في التراث العربي، وذلك إلى استيعابه للنظريات الغربية الحديثة محاولا تكيفها مع نصوص عربية تراثية.³

ثانيا: سيميائية المكان

لقد شكل المكان عنصرا بارزا في الرواية، حتى عد الجغرافية الخلاقة لها، وذلك من خلال ما حققته السيميائية كمنهج نقدي بحيث عملت على جعل له قيمة دلالية وذلك من خلال: «القرأة السيميائية للبنية المكانية ستنتقل من خلال الكشف عن القوانين المادية والنفسية التي تحكم مجموعة علاماتها وتمفصلاتها داخل التركيب المكاني الذي يؤسس للقضاء المكاني ككل لكن التعامل مع العلامات (الفضاء السردي) سينطلق من مكان خفيض من العلامات اللسانية على اعتباره أن الفضاء السردي، مثل المكونات الأخرى للسردي، لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي بامتياز ويختلف عن الفضاءات الخاصة بالسيماء والمسرح، أي عن كل الأماكن التي تدركها بالبصر والسمع، ولذلك فإن التحصيل الواعي للبنية المكانية، ينطلق عادة

¹ سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد (السيميوطيقا) حول بعض المفاهيم والأبعاد مدخل إلى السيميوطيقا.

² مولاي علي بوحاتم، الدرس السيميائي المغربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 2005، ص ص 123، 124.

³ عقيلة سرير وفاطمة الزهراء قاسمي : النظرية السيميائية وتجلياتها في النقد العربي الحديث، قسم اللغة والآداب العربي، جامعة خميس مليانة، سنة 2015، ص 48.

من الوحدات اللسانية، فلفظة " فعال " تعلن عن موقع مكاني بين شخصين ثم ستسهم الأنسجة المختلفة للعلامات اللسانية في إرساء متخيل البنية المكانية في قطبيها الأساسيين، تشكلها الإقليدي، وامتلائها الدلالي¹.

«الفضاء بتشكيله اللغوي وغير اللغوي ستحيل علامة وتحفز وتحيل القارئ إلى التأويل حيث تمارس عليه ضغطا ليصنعها حسب نوعها واعتبار أنواع العلاقة الثلاثية تنطلق من تقسيم بيرس²»

«تشكل المقاربة السيميائية للفضاء أهم المنطلقات التي يستوجبها البحث الأمبريقي** - الذي ينشد استقرار الفضاء المدني وكيفيات شغله من قبل الفاعلين الاجتماعيين وانعكاساته على متعدد أصعدة بمظهر المدينة، وينكشف الفضاء في مدلوله السيميائي كمنظومة علامات يقتضي لدى " أوستكوفسكي " استدعاء مقولة الاستخدام الذي يقدمه الفاعل للفضاء الذي يحتله ويشغله فمعنى الفضاء وهذا هو المهم يستدل عليه لدى " فايري " أيضا عبر ومن زاوية الممارسة الاجتماعية للفضاء يدعو " فايري " إلى مقارنة الفضاء ضمن سيميائية متفصلة في منظومة دلالة، فالفضاء لا يعني البحث إذ لم يكن دالا من زاوية ممارسة اجتماعية وإذ لم يكن دالا لشخص ما³»

من خلال مما سبق نجد أن السيميائية عملت على اظهار واستنطاق المكان وما يحمله من دلالات وأبعاد مختلفة وأكسبه قيمة دلالية تتميز بين الظواهر المكانية التي لا يختلف بعضها عن بعض في القرب أو البعد وليس له قيمة في حد ذاتها غير أنها تكتسب قيمة إلا من خلال السيميائية.

¹ بوليسل كمال، سيميائية الفضاء في رحلة أبي حامد الغرناطي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات جامعة منتوري قسنطينة، 2006، ص 14، 15، رسالة ماجستير مخطوط.

² حمزة قريرة، مشري بن خليفة، مجلة قسم الأدب العربي، جامعة قاصدي مرياح، ورقة، ص 300.

³ www.aranthropos.com

الفصل الثاني: تجليات المكان في رواية الميراث

مدخل

العتبات النصية لرواية الميراث

1- سيمائية الغلاف لرواية " الميراث "

2- سيمائية عنوان الرواية " الميراث "

3- سيمائية الإهداء

4- سيمائية الاستهلال

المبحث الأول: المكان ودلالته في رواية الميراث

الأماكن المفتوحة والأماكن المعلقة

1- الأماكن المغلقة

2- الأماكن المفتوحة

المبحث الثاني: المكان وعلاقته النصية في رواية الميراث

1- شخصيات رواية " الميراث "

الشخصيات الرئيسية

الشخصيات الثانوية

2- علاقة المكان بالشخصية

3- علاقة المكان بالزمان

4- النسق الزمني في رواية الميراث "

5- علاقة المكان بالحدث

الفصل الثاني: تجليات المكان في رواية الميراث

مدخل :

إذا كان الإبداع الروائي في شكله المنجز يتم داخل إطار المكان الروائي فإن الروائي المبدع هو الذي يستطيع إن يتعامل معه تعاملًا فنيًا، فيتخذ من الإطار المادي الذي تتم في خضمه أحداث الرواية ووقائعها وفي الوقت ذاته يتخذها شخصية فاعلة ومؤثرة في شخوصه بان يصبح لهم الملاذ والمهرب في الوقت ذاته.

وبذلك يتعدى المكان من كونه علامة مادية إلى أبعاد ودلالات ، فتحول إلى أداة للتعبير عن المواقف، وعليه فإن علاقة المكان الروائي بدلالته ليست علاقة وصفية ، مقتصرة على ما هو مرئي وملمس ، لان الروائية سحر خليفة في روايتها " الميراث " أخرجت المكان من صمته ، يتفاعل مع نفسه ومع العناصر السردية الأخرى ، وجعلت منه أداة لإبراز محتوى الرواية ، وذلك من خلال الارتباط الوثيق بالعناصر القصة ، بل مؤثر ومتداخل في مجرياته لعلاقته المتدخلة بين جميع مكونات الرواية ، وحتى تتم الإحاطة أكثر بأهم الدلالات المكانية في رواية الميراث، خصص البحث هذا الفصل من الدراسة ، بإبراز أهم الدلالات والإبعاد للمكان، وبالتركيز على علاقة المكان بالزمان والشخصية والحداث .

❖ العتبات النصية لرواية الميراث :

« لكل بناء مداخل، ولكل مدخل عتبة، ولكل عتبة هيئة، ولان العتبات همسات البداية ، فقد اهتمت السيميائية الحديثة بدراسة الإطار الذي يحيط بالنص كالعنوان، والإهداء و الرسومات التوضيحية، وافتتاحية الفصول وغير ذلك من افتتاحية التي أطلق عليها " النصوص الموازية" ، والتي تقوم عليها بنايات النص، ويأتي الدور المباشر لدراسة العتبات متمثلا في نقل مركز التلقي من النص إلى النص الموازي، وهو الأمر الذي عدته الدراسات النقدية الحديثة مفتاحا مهما في دراسة النصوص المغلقة، حيث يجترح تلك العتبات نصا صادما للمتلقي، له وميض التعريف بما يمكن إن تطوي عليه بمجامل النص»¹.

1- سيميائية الغلاف لرواية " الميراث "

حظي الغلاف بأهمية كبيرة في الدراسات الأدبية الحديثة، حيث عدته عنصرا من العناصر الموازية للنص، إذا لم يعد ينظر للكتاب الصادر الموجه للقراء على انه الكلام المطوع بين دفتي الكتاب، أي العرض البصري للقراءة بل أصبحت العناية واسعة شاملة الإنتاج ككل بدء من الغلاف و انتهاءً بمضمون الرواية

- ولقد جاء غلاف رواية الميراث من تصميم المصممة لنجاح باللون الأبيض الذي احتل المساحة الأكبر في الغلاف والذي لا دلالة له، إلا دلالة السلام والهدوء والنقاء والأمان والصفاء، وهذا ما كانت تطمح إليه نفس العائدة المعتربة زينة

كما جاء عنوان الرواية في الأعلى وذلك لسمو الموضوع وعلو شأنه : الألف لكلمة الميراث التي شملت شكل المفتاح، فهي علامة ذات دلالة فلسطينية محيلا المتلقي قبل القراءة إلى واحدة من علامات الثقافة الفلسطينية ورابطا بين المفتوح بدلالة التاريخية و كونه مظهر من مظاهر التراث، وبين الميراث والمادي و المعنوي الذي تبحت عنه زينة طوال الرواية وجاء عنوان الرواية باللون الأسود، وهو نقيض الأبيض

¹ بخولة بن الدين ، عتبات النص الأدبي مقارنة سيميائية ، جامعة البحرين ، ماي 2013 .

فاللون الأسود يحمل دلالة الحزن والخوف والمأساة ، خوف من المستقبل ، ومأساة الوطن الذي طال به الحال وأصبح الفرج شيء من المستحيل ولطول المدة وغموض القضية ،

حمل غلاف في رسوماته شكل "باب" في الأسفل مفتاح آخر والذي يمثل رمزية العودة إلى دروب الوطن وقرب هذا الباب نجد صورة امرأة وهي تمثل الشخصية المحورية وهذا ما يميز دائما روايات سحر خليفة

ونجد خلف الفتاة في صورة نجد تلال باللون البني مع شيء من الصفرة في الأعلى .

« وإذا انتقلت الدراسة اللون البني ، وجدناه لؤلؤ التراب ، فالتراب حياة فلا حياة للمواطن خارج وطنه ، فالتراب دليل الأرض والوطن»¹

« إما فيما يخص اللون الأصفر الذي يعتلي الصورة فهو دلالة الغيرة على أرض والوطن ومن جهة أخرى يمثل دلالة الأمل»² الذي يسكن وجدان وفؤاد جميع المغتربين بالرجوع إلى أرض الوطن .

2- سيمائية عنوان الرواية " الميراث " :

العنوان نص مختصر، إلا أنه يلعب دورا مهما في العمل الروائي ، لأنه يعد بمثابة العتبة التي تمكنا من الدخول إلى النص، وذلك لأن عملية القراءة تبدأ من خلاله ، لأنه بطريقة أو بأخرى يحيل على النص الذي يعنونه.

والملاحظ على عنوان الرواية أنه جاء موجز ومختصر في مفردة واحدة " الميراث " ، وعند قرأتنا للرواية نجد أن العنوان ما هو إلا شفرة يكشف عن نوى الرواية فالعنوان إذن نص صغير يتعامل مع نص كبير لأنه يكشف عما أراد المؤلف أن يبلغه للقارئ

ومن هنا يتبادر التساؤل لدينا : لماذا اختارت الروائية هذا العنوان دون غيره ؟

¹ حسين حمري ، فضاء التخيل ، ب ط ، منشورات دار الثقافة ، سوريا ، 2001، ص 133

² المرجع نفسه ، ص 133

- أيرجع ذلك لمضمون الرواية الذي يعكس بصورة أو بأخرى هذا العنوان ؟ أم هو ذكاء من الروائية لاستشارة القارئ في أن يكتشف هذا العنوان في دهاليز هذه الرواية ومهما تكن الإجابة رأى البحث أن تكون قرأه العنوان تتم من خلال مستويين :

أ - المستوى المعجمي اللغوي :

«فجاءت مفردة " الميراث " في «معجم الوسيط تحمل دلالة الارث ، والجمع مواريث ، وعلم المواريث هو علم الفرائض»¹

واصطلاحا: « هو ما يتركه الشخص لورثته من أموال وحقوق»² فالميراث هنا نجده يحمل دلالتان المعنوية " الحقوق " و ، المادية " المال " .

ب/المستوى الدلالي الإيحائي :

"الميراث هو عنوان يستثير كل من يقرؤه لأن هذا العنوان يحمل دلالات منها المادي ومنها المعنوي .

والميراث عنوان مرتبط بالنص ارتباطا دلاليا ، لأنه اختير بشكل ذكي ، فالروائية تعمدت في أن يكون العنوان أكثر تأثيرا في خلق الانطباع الأول لدى القارئ، ويعد العنوان هذا بداية النص أو شكلا من أشكال البداية، تقول الروائية «ثم وصلتني رسالة من عم لي يقول لي ما معناه ،عجلي قبل ينقطع الخيط ويسقط حقلك في الميراث»³ .

وفي هذا المقطع تزيد الروائية القارئ أكثر تشوقا في معرفة طبيعة هذا الميراث ،الذي من أجله راسل العم ابنة الأخ " زينة " ومطالبتها بالرجوع وقبل أن ينقطع الخيط ،وهذا الأمر الذي استثار زينة نفسها للرجوع بسرعة إلى الوطن فيحمل هذا العنوان الدلالة المادية المعروفة أو المعنوية الحقد في العيش علي أرض الوطن فهو الميراث الحقيقي لكل مغترب ومنفي ومحروم من موطنه

- وعليه فالعنوان كوحدة نصية استطاع إن يختصر كل هذه الدلالات والإيحاءات بتقنية بارعة .

¹ عدنان نجا و خالد حسن ، المواريث في الشريعة الإسلامية منشورات ، دار لبستان للطباعة والنشر (د ط) البستان ص 11 ، 12

² W.W.W. Fatrva.Slam web.com

⁽³⁾ الميراث ص43.

وباختصار بذلك يمكن القول أن للعنوان دورا كبيرة ومكانته، إلا إن هذه المكانة لم تمنعه في أي يكون امتداد لفحوى النص، فالميراث كعنوان جاء منسجما متوافقا إلي حد كبير مع نحوى نص الرواية .

3- سيمائية الإهداء :

« في رواية الميراث خصصته الروائية سحر خليفة إلى الحفيدة الصغيرة مصر الديسي عساها تكتشف "الميراث هو خروج نوعي بجيل لاحق تراهن عليه الروائية في تشكل وعيه بطريقة عصرية مكاشفة للتاريخ لا من حيث الاعتماد علي مصادر شفوية يتناقلها الناس، ولا يفوتنا العلاقة القائمة بين الرواية بداية من عنوانها "الميراث" وتوجيهها إلى الجيل الجديد الذي سيكون عليها تقبل أو تحمل هذا الميراث أياما تكون طبيعته»¹.

4- سيمائية الاستهلال :

في رواية الميراث يلعب الاستهلال دوره الدلالي في تشكل وعي المتلقي بالتفاصيل «جئت إلى الضفة بحثا عنه، بحثا عنهم، بحثا عن وجهي»² طارحا عددا من التأويلات

1- المتلقي قبل معرفته بانتماء سحر خليفة، وقبل إدراكه الضفة ودلالاتها تؤسس فهمه للفضة الضفة بنوع من المجاز حيث تعني الشاطئ الأخر المناظر موقعا ولكنه المختلف دلالة وقيمة، ولكن معرفة انتماء الروائية والتدرج في الوعي بتفاصيل السرد يصبح للمفردة ودلالاتها الأعمق .

2- ضمير المتكلم حين يتجاوز الحديث عن الغائب يطرحا متحدثا لا يتوقف عند كونه يؤسس لحضور ذات الساردة وإنما يؤسس أيضا لحضور ذات المتلقي الذي يجد نفسه متحدثا رسميا باسم السارد مما يعني إن كل قراءة هي بالأساس تجديد لحضور هذا الصوت في دلالاته»³.

لغة رواية الميراث

¹ غدیر رضوان طوطح، المرأة في روايات سحر خليفة، رسالة ماجستير، جامعة بيزرت سنة 2006.

² الرواية، ص11.

³ مصطفى الضيع، سحر خليفة أيقونة الرواية الفلسطينية، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ج4، ص37.

الروائية سحر خليفة في رواية الميراث يقدم بواقعية عالية بانوراما الشارع الفلسطيني وواقعه تحت الاحتلال، وكأنها صحفية تكتب تقريراً تتوخى فيه الصدق والحقيقة فجاءت لغتها عادية مباشرة تفتقد الدلالات والإيحاءات لأن الروائية أثار التزامها، بقضايا الواقع واهتمامها بتعرية ما يجري علي المساحة وإحساسها بمسؤولية لمن تكتب في فنية اللغة وجمالها، دفعها إلى التهاون في اللغة أحياناً، فهي لا تكتب للنخبة المثقفة، بل تكتب للجماهير وعن الجماهير، ويهمها أن تصل إليهم، فلجأت إلى أسلوب التبسيط، واستعمال العامية أحياناً، أو مزجها بالفصحى في بعض الأحيان، وباختصار كانت تكتب كما تتكلم ولا تحمل علي تشذيب لغتها، وظهر هذا بشكل واضح ليس في الحوار فقط، بل في لغة السرد فهي تنقل حديث الناس كما هو بعفويته و بساطته وسداخته وسوقية، ولأمثلة كثيرة تملأ ثنايا الرواية، وللتمثيل يكتفي البحث بالاقتراس التالي «شبعنا تنظير وحكي فاضي، بدنا تعيش، بدنا لتنفيس، بدنا شوارع ري العالم، مش تبقى ماشي في الشارع وكأنك ماشي كله مكسر كله مخلع كله تاخخ»¹.

فهي تستخدم لغة الوقائع والأحداث التي تقوم بنقل الحياة كما هي، فتصيح اللغة عندها لغة إيصال ليست لغة دلالة بحيث يبرز فيها البعد السياسي والاجتماعي، كمضمرات تحملها الرواية.

(1) الرواية ص32

المبحث الأول: المكان ودلالته في رواية الميراث

لقد حظي المكان كعنصر من عناصر الرواية باهتمام الروائية سحر خليفة شأنها في ذلك شأن الكثير من كتاب القصة والرواية في العالم، والقارئ لرواية الميراث يرى بوضوح المكان كواقع حقيقي وكبناء فني، وبدرجات متباينة ومتنوعة، وعلى امتداد مساحة كل الرواية يأتي المكان تجسيدا وتشخيصا وأحيانا تضمينا، واستأثرت بغض الأمكنة باهتمامها أكثر من غيرها فمثل مدينة نابلس مسقط رأس الروائية لها حضور دائم في كل رواياتها، باعتبار أن المكان يرتبط بالإنسان ماضيه وحاضره ومستقبله على نحو وثيق، ومما لا شك فيه أن هناك علاقة واضحة بين الإهتمام بالمكان كحيز وبين الاحتلال الصهيوني الذي يحاول دائما الإستيلاء على هذا المكان وأبعد من ذلك تدمير المكان وطرد أصحابه منه وبصورة ادق يعني المكان (الوطن)

وقد اعتمدت الروائية في رواية الميراث على أسلوبين لتعطي للمكان نمطية الانغلاق والانفتاح حسب الدواعي والتسليم بأن الخصيتان السابقتان ترتبطان بالدرجة الأولى برؤية المكان وما يملأه من مشاعر وأحاسيس وهذا ما سيعمل البحث على استجلائه واستقصائه.

الأماكن المفتوحة والأماكن المعلقة:

يعد المكان المغلق والمكان المفتوح من الثنائيات الضدية التي اشتغل عليها دار سو المكان الروائي، ذلك إن المكان المفتوح يمثل حيز تنقل الشخصيات، في حين يعد المكان المغلق فضاء ثباتها واستقرارها.

كما قال "حميد حميداتي" «إن الأمكنة تخضع في تشكيلاتها أيضا إلى مقياس آخر مرتبط بالاتساع والضيق أو الانفتاح والانغلاقية»¹.

فالمكان يكتسب وجوده من خلال أبعاده الهندسية والوظيفية التي يقوم بها، فإذا كانت الفضاءات المفتوحة امتدادات للفضاء الكوفي الطبيعي مع تغيير تفرضه حاجة الإنسان المترتبة يعصره

(1) حميد حميداتي، بنية النص السردي من منظور النقد الادبي، ص 72

،فان الحاجة ذاتها تربط الإنسان بفضاءات أخرى يسكن بعضها ،ويستخدم بعضها في مأرب متنوعة كالبيت و.....الخ¹.

1- الأماكن المغلقة:

إن الحديث عن الأمكنة المغلقة هو حديث عن المكان الذي حددت مساحته ومكوناته كغرب البيوت والقصور فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية، أو كأسيجة السجون، فهو المكان الإجمالي المؤقت فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان أو قد تكون مصدرا للخوف، أو هي الأماكن الشعبية التي يقصدها الناس لتمضية الوقت والترويح عن النفس كالمقاهي ،أو هي تلك الأماكن التي تتردها الطبقة المترفة الثرية لتشبع نزواتها ،كالملاهي والمكان المغلق ،هو مكان العيش والسكن الذي يؤدي الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة من الزمن سواء بإرادة الآخرين².

فالمكان المغلقة لديه أهمية في الرواية واشتغال الأحداث وتحرك الأشخاص وفق أماكن محددة وضعتها الكاتب للإشارة إلى أبعاد يكشفها القارئ ومن خلال دراستها لرواية «الميراث» لسحر خليفة والتعن فيها يكشف اختيار صاحبها إطارا مكانيا مغلقا تتوالي وتنطلق منه الأحداث ويتمثل في البيت، هذا الأخير الذي يمثل أول الأماكن البارزة في الرواية .

✓ البيت:

يعد البيت من بين الأماكن المغلقة التي توحى بمعذبين متناقضين ،يدل تارة علي معاني الواحة والطمأنينة باعتباره ملجأ إليه الإنسان في حالة شعوره بالتعب ،وتارة يعبر عن الشقاء والتعاسة إذا لم يجد الإنسان رحته فيه .

⁽¹⁾ الشريف جميلة ،بكية الخطاب الروائي "دراسة في روايات نجيب الكيلاني ،عالم الكتب الحديث اربد الاردن ،سنة 2010،ص 204

⁽²⁾ مهدي عبيدي ،جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، الهيئة العامة السورية للكتاب ،دمشق ،سنة 2011م ،ص 43

ويرى احد الدارسين إن البيت «يمثل نقطة انطلاق للحديث عن سيرة تشخيصيه أو تاريخ عائلي»¹ ، ويعد كذلك «واحدا من أهم العوامل التي تدمج أفكار وذكريات وأحلام والإنسانية فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا»⁽²⁾

✓ بيت العم أبو سالم :

هو البيت الأول الذي طرقته وقصدته " زينة " المهاجرة عند وصولها الأرض البلد ، هو بيت العلم أبو سالم "عمتها" الذي بعث لها برسالة ودعاها للمجيء إلى البلد " وادي الريحان " ولقد سجل بيت العم أبو سالم حضورا كثيفا بالمقارنة مع فضاءات البيوت الواردة في الرواية ، فهو البيت والمكان الذي بدأت فيه صدمتها لما آل إليه الواقع في البلد ويظهر ذلك في المقطع «.....وقفت أمام بيت حديدي دهن بلون رمادي يميل الي الزرقة، ومن وراء السور ،ارتفعت قممات الاكاييس ونباتات متسلقة وراء ترمي علي الحفاف وتملا الجدران بالخضرة...»³.

فالنظافة كانت بريقها داخل البيت إما في الشارع فلا حياة لمن تنادي لتك الأوساخ والروائح الكريهة والمزابل وهذا يناقض ما كان عليه وضع البلد من نظافة ورعاية فهو يدل علي انقلاب تفكير أهل البلد إلى الاتجاه السلبي واللامبالاة .

وفي نظري فان الروائية سحر خليفة تعبر في هذا المقطع عن حالة الترهل والتراجع الفكري والهزيمة النفسية ، وكل إليه وضع الإنسان الفلسطيني منذ وهزيمة وتقهقر فكري .

⁽¹⁾الأخضر بن السايح ، سطوة المكان وشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد دراسة في تقييات السرد ،عالم الكتب الحديث ،اريد الأردن ط¹ ،2011م

ص 147

⁽²⁾ غاستون باشلار، جماليات المكان، تر غالب هلسا،المؤسسة الجامعية لدرنا النشر والتوزيع، بيروت،ط،3،1987م.

⁽³⁾ الرواية، ص44.

✓ بيت السيدة فتنة:

السيدة فتنة هي زوجة أب «زينة» تزوج بها أبوها عند رجوعه من أرض المهجر، وبيت السيدة فتنة هو الآخر شكل حضوراً ملحوظاً في الرواية وورد ذكره في «...لكنها أصرت بشدة وكرم لا يدعو للشك أن تقيم الحفلة في بيتها وعلي التراس الجميل الذي أعادت بناؤه وترميمه»¹.
«... وبعد العصر امتلأت الدار بالأهل والجيران حتى لم يبقه لديهم كرسي واحد لم ينقل إلي الحديقة تحت الجوزة...»².

من خلال المقطعين السابقين نلاحظ تعجب البيت "زينة" لما حال بأهل البلد، فوجدت حالهم مجرد عزومات وحفلات وضخم زردات لا آخر لها، أما ما يخص الوطن والقضية والقدس، فلا جدل في ذلك، فتسألت مرة أخرى في نفسها أهذا هو الميراث الذي دعاني إليه عمي، قبل أن يفوت الآوان، وهكذا يكون تفكير و حياة شعب مسلوب الوطن والهوية وميراثهم الحقيقي مهدد بالضياع، وهذا ما نفسره بالذل والهزيمة والاحتواء النفسي الفلسطيني أمام صراعه مع اليهود:

✓ المطار:

مكان واحد في طبيعته لكنه متعدد الوجوه في جوهره متعدد أوجهه باختلاف ما يجول في صدور رواده وخواطريهم بين من يعيش فضاء المطار متطلعاً إلى سياحة يحلم بها ويقصدها وبين من يقصد المطار مهاجراً مبتعداً عن مواطنه وأهله تحت ضغط متطلبات الحياة، فهو يمثل الحلقة وصل بين الداخل والخارج³

والمطار عند زينة مكان آخر مختلفة فيه الانتظار يصعب و يطول و تصبح الدقائق فيه ساعات، ويخفق لها فؤادها، فهي عائدة من غربتها الطويلة، عائدة إلى موطنها التي ماتت شوقاً لرؤيته.

¹ الرواية ص 137.

² الرواية ص 48.

³ الأخصر بن سايح، سطوة المكان و شعرية القص، ص 127.

«وبدون أي تفكير طرت أول طيّارة إلى مطار اللد ومن هناك إلى نتانيا وبتكسي إسرائيلي عبر الخط الأحمر حتى وصلت مشارف وادي الريحان¹»
 وورد ذكر المطار أيضا في نهاية الرواية تقول الرواية «أوصلني عمي إلى المطار وقال بعتاب- معقول تروحي وتتركينا؟²» فجاء فضاء المطار بوصفه منطقة عبور إلى الآخر عبور يعد مكاشفة الشرق في ثقافته وإحسانه، وملامح حياته وتفكيره.

✓ الديوان:

الديوان من الأماكن ذات أصالة وتاريخ في مدينة القدس وكان لأهل القدس، عائلات ذات تاريخ وأصول ونسب ممتدو عريق في مدينة لقدس، فيحتلون مكانة مرموقة وذات احترام ووقار من قبل أهل القدس، وكان لكل عائلة من هذه العائلات ديوانها الخاص ويجمعها من الحين إلى الآخر، ويتزعم هذا الديوان كبيرهم ويسمى "بالبيك".

وذكره في العديد من المواضع في الرواية نورد منها مايلي: «أما في ذاك الديوان فقد كان بربطة عادية عليها دبوس لرأس زنجية من البرونز»³.

«تدور القهوة في الديوان، قهوة سادة ثم حلوة ثم شاي توينج مع الجاتوه والشكولاتة، قعدة حلوة ينتظرها الجميع بفارغ الصبر»⁴.

«وظّلت تتحين الفرصة لتثبت للآخرين أن احضار حفيدها إلى الديوان ليس إلاّ دليلا على انخفاض مستوى العيلة الكنة»⁵.

«وزيارتها للديوان أمولا تستغني عنه لأنّه من وجهة نظرها لربطة العلة وحفظ التقاليد»⁶

¹ الرواية، ص 43.

² الرواية، ص 317.

³ الرواية، ص 80.

⁴ الرواية، ص 80.

⁵ الرواية، ص 82.

⁶ الرواية، ص 84.

«ظلت تحتفظ بكرامتها وتواظب على حضور الديوان بوجود البيك أو عرمة، فحضور الديوان يشعرك بأصلك وفضلك ويجعلك تحس أنك مسنود»¹

وهذه على سبيل المثال لا الحصر و فالروائية نجدها أسهبت في الحديث عن الديوان وهذا لما هذا للمكان من أهمية وأبعاد نوجزها في:

*البعد التاريخي: الديوان يعد مهم في حياة العائلات المقدسية ، فهو مكان تجتمع فيه الأصالة والتاريخ، وهذه العائلات تحاول متشبهة بأي خيط أو رابط للمحافظة على التقاليد والعراف المقدسية الضاربة في التاريخ
*البعد الاجتماعي:

إن حضور أفراد وعائلات الديوان إلى هذا المكان له أبعاد اجتماعية فهو يدل على أصالة ونسب ورقي وعزّ وجاه كل فرد منهم فهي تدل على أنهم عائلات ذات تاريخ شريف ونسب عال ومناصب محترمة مرقومة في مدينة القدس.

وبهذا أكون قد وضعت اللمسات الأخيرة على مقارنة المكان من ناحية الانغلاق، ومن وجهة نظري أن هذا الانغلاق قد ينتقل من المادي إلى المعنوي أي من المكان المعيش إلى المكان النفسي، فالحدد الدقيق لهذه العلاقة الوطيدة هو تماهي النفس مع مكانها وإفرازها لشعور قد يكون طيباً أو منفراً.

2- الأماكن المفتوحة:

المكان المفتوح عكس المكان المغلق، والأماكن المفتوحة عادة تحاول البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع وفي العلاقات الإنسانية الاجتماعية، ومدى تفاعلها مع المكان إنّ الحديث عن الأمكنة المفتوحة، هو الحديث عن أماكن ذات مساحة هائلة توحى بالمجهول، كالبحر والنهر، أو كالحجى، حيث توحى بالألفة والمحبة، أو هو حديث عن أماكن ذات مساحات متوسطة كالسفينة

¹ الرواية، ص 84.

والباحرة كمكان صغير يتموج فوق أمواج البحر، وفضاء هذه الأمكنة قد يكشف عن الصراع الدائمة بين هذه الأمكنة كعناصر فنية، وبين الإنسان الموجود فيه¹.

لقد كون المكان المفتوح في رواية "الميراث" للروائية سحر خليفة، حيناً مهماً، وقد اختلفت هذه الأمكنة، فلكل مكان صفاته المختلفة والتي تستطيع تبينها من خلال قراءة رواية "الميراث" التي شملتها هذه الدراسة ومن ضمن هذه الأماكن المفتوحة:

✓ المدينة:

المدينة باعتبارها بنية جغرافية ومعمارية وتاريخية واجتماعية المؤسسة على التبادلات التجارية والإدارية والتواصل الإعلامي النوعي تملك هوية تحدها، وبالتالي تتحدد بها هوية من يسكنها، فقد تقتحم العديد من الصور مخيالنا بمجرد أن نذكر أسماء مدن سواء كانت قديمة أو معاصرة²

مدينة القدس: هي أكبر مدن فلسطين التاريخية مساحة وسكاناً وأكثرها أهمية دينياً واقتصادياً، ولها العديد من الأسماء الأخرى المعروفة بها.

والقدس كمدينة ورمز ديني بات حضوره ملحوظ سواء حضورها مباشراً تأتي كإطار مكاني لأحداث الرواية أم كان حضورها غير مباشر تأتي عبر ذاكرة الشخصيات³.

ولقد كان حضور القدس في رواية "الميراث" لسحر خليفة فكان حضورها مباشراً وغير مباشر ويحمل العديد من الدلالات نورد منها:

الدلالة التاريخية:

ورد ذكرها حين قالت زينة «على يدي فتنة اكتشفت القدس من شرفتها الشرقية تطل على الأودية والزيتون وحديقة وجامعة تبشيرية لها ردهات تنتهي بأدراج عريضة وقطانين وأزهار مشعة خلف زجاج طويل بقبته اللامعة ومآذنه وسور القدس، ومبانيها ذات التاريخ ومن سطح منزلها العالي رأيت

¹ مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنانيا، ص90

² محمد داود، المدينة في الرواية الجزائرية، الفضاء الفسطيني في رواية الزلزال، مجلة إنسانيات، بتاريخ 23/مارس/2017.

³ W.w.w.ar.wikipedia.org

الكنائس والجرسيات ومقابر متعددة الأديان وأشجارًا غامقة وصخورًا بيضاء وأرض جرداء بنية ورمادية
«¹.

لقد أظهرت الروائية هنا جماليات القدس بلمسته التاريخية المقدسة، إضافة إلى وجود الكنائس
والجرسيات، وربما تزيد الروائية بعد حضاريا للقدس يمثل قيمة التسامح وإمكانية العيش المشتركة في
رحابها بين ذوي الملك المختلفة، استيعابها لتلك التعددية الدنية والفكرية، وفي ظل حضارتها العربية
الأصلية²

الدلالة الدينية:

ورد في المقطع قالت المرأة «مداعبة هيّا يا حج، تروح لنرجع ع البلاد نقدر حجتنا ونتبرك
ونلاقي حالنا بعد غياب؟...»³.

من خلال هذا المقطع يمثل القدس كقطب ديني له مكانة و أهميته كبيرة في قلوب المسلمين،
كيف لا فهو أولى القبلتين وثاني الحرمين.

نجد أن الروائية سحر خليفة أظهرت القدس "المدينة" كمكان ديني وتاريخي، ومكان تتعايش فيه
جمع الديانات والمعتقدات.

لكننا نجد الروائية نفسها جعلت من مدينة القدس مكانًا ساخنًا بالأحداث في روايتها "أصل
وفصل" فكانت المدينة ساهدًا على العديد من المؤامرات والمواجهات السياسية ومظاهرات نسوية،
كما كشفت الكثير من الزعماء الذين تأمروا وباعوا الوطن⁴.

¹ الرواية ص78.

² ينظر، حضور القدس في المشهد الأدبي الفلسطيني المعاصر ما بين (1900,2000) لجامعة القدس المفتوحة في 26 أكتوبر 2009م.

³ الرواية، ص 34.

⁴ W.w.w.ar.wikipedia.org

✓ مدينة نابلس:

هي احدى أكبر المدن الفلسطينية سكاناً وأهمها موقعاً هي عاصمة دولة فلسطين الاقتصادية ومقر لأكبر الجامعات الفلسطينية، تعتبر نابلس عاصمة شمال الضفة الغربية ولها العديد من الأسماء مثل جبل القار، دمشق الصغرى... إلخ¹

إنّ سحر خليفة استوحت كل رواياتها من فضاء نابلس الذي تعتبره بمثابة مختبر صغير تفهم منه المجتمعين العربي والعالمي.

ورد ذكرها : تقول زينة جئت إلى الضفة بحثاً عنه، بحثاً عنهم عن وجهي في الغربة، حتى أعرف ما سوف يكون، وصلتني رسالة من رجل يذكر فيها أن الوالد في مكان ما، أي أنه حتى يرزق ، وأنّ الرجل هو عقر لي وأن المكان وادي الريحان².

تقصد بالضفة أي "نابلس"، لقد شكلت هنا نابلس تلك الجذور المقطوعة للمنفيين الفلسطينيين في المنفى والغربة ، وحنين الوطن فكانت تشكل دلالة انتماء الوطن.

✓ مدينة نيويورك:

وهي المدينة الأكبر في الولايات المتحدة الأمريكية والأكثر تأثيراً في مختلف المجالات كالتجارة والمال والأعمال هي المدينة سكانا وتعد من أهم العواصم الثقافية و الاقتصادية في العالم³. ورد ذكرها في «فرق كبير ومسافة طويلة بين نيويورك و واشنطن ووادي الريحان، وادي الريحان كانت أبداً في ذاكرتي عكس نيويورك»

لقد شكلت مدينة نيويورك شحنة سلبية وغصته في قلوب المتغربين بها، فالغربة والمهجر والمنفى أرهق كاهلهم فهي تجربة قسرية حملت بعدين متناقضين معناة الفقد والخسارة والإحساس بالاستقرار والأمان من جهة أخرى.

¹ نزهة أبو غوش، قراءة في رواية آل وفضل، جريدة تشرين السورية بتاريخ 2010/12/30.

² الرواية، ص 11.

³ W.w.w.ar.wikipedia.org

٧ الشوارع والأحياء:

الشارع مكاناً حيويًا من حيث كثرة الحركة بكل مستوياتها الإنسانية.

فالشارع يراه "ياسين نصير" صحراء المدينة وجزؤها الزمني وحياتها الدائبة المتحركة، ولولب بعدها الحضاري لامتداده طاقة على مد الخيال، و لانعطافاته تحولات في الزمان والمكان لسعته رؤية ريفية، و لضيقه، رؤية المدن الصغيرة الوسطية ولساكنيه حرية الفعل وامكانية التنقل، وسعة الاطلاع والتبدل ولذا فعدم استقراره هو استقرار آخر، هو التكوين الذي بدونه لم يصبح للشارع معنى، ولذا حسب الناس زمنًا وأحسبه مكانيًا¹

والشارع عند حرار جينيت «فضاء مفتوح و محضور ، في الوقت نفسه فهو مفتوح من منفذيه اللذين تأتي و تغادر منهما ، و بينهما تتوقف ، وتتحول و نلتقي بالآخرين و الشارع يحصرنا و ينغلق علينا من جانبيه»²

ولقد شهد الشارع حضورا كثيفا في رواية "الميراث" و نورد منها على سبيل المثال لا الحصر «...وكان في الوقت متسع إذ أن الليل في أوله و الشارع صاح و السيارات تروح و تجيء عيون الناس مفتوحة»³

«فجأة ، و قبل أيام من بدء الاحتفالات القلب الحال في الشارع و بدأ سكان وادي الريحان في ذروة النشاط»⁴

«في الشارع الخلفي مشيت و حاولت استعادة الملامح»

«وغابت عينا في أطراف الشارع المكتظ...»⁵

¹ ياسين النصير ، الرواية و المكان، دراسة المكان الروائي ، ص 110 .

² جبرار جينيت و آخريين ، الفضاء الروائي ، تر عبد الرحيم خزل ، إفريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب ، سنة 2002 ، ص139.

³ الرواية ص 233 .

⁴ الرواية ص 279.

⁵ الرواية ص 32.

«وحين وصلت أول الشارع مأهول انفتحت النوافذ»¹

«رأيت أباهما بركض خلفها في الشارع كالثور الهائج»²

من خلال المنقطع السابقة نلاحظ ما يلي :

يتنوع حضور هذا المكان في الرواية بين موضعه تارة في المدنية و تارة في القرية ، و ذلك من أجل إزالة الملل.

يتجه طبيعة مكان الحي و الشارع في الرواية من الضيق و القيد و الظلمة الى الاتساع و الهدوء والسكون.

قد استطاعت الروائية سحر خليفة ادخالنا في جو الرواية ، و جعلتنا نعيش أحداثها و نتجول بين شوارعها و عبرت عن الواقع الكارثي الذي صدمت به من خلال الشارع لما آل إليه حال البلد ، الذي طالما كانت تحلم به و بهذا تغدوا الشوارع و الأحياء بحضورها وسيلة من وسائل تعبير الرواية عن أمور نفسية و معنوية .

✓ القرية :

تبعد القرية مكانا جغرافيا لها حدود تفصلها عن القرى و المدن و المجاورة ، و تختلف طبيعة الحركة فيها بحسب المرافق التي تتوفر عليها ، فكلما كثرت فيها المرافق كلما زاد النشاط فيها و كثرت التنقلات فيها ، و كلما قلت المرافق فيها ، قل فيها النشاط بسبب فوجه سكانها الى المدن المجاورة لتلبسه حاجيا فهم المتنوعة³

لقد كان للقرية حضورا بارزا في الرواية و المتمثلة في قرية وادي الريحان ، هي قرية يقرب

¹ الرواية ص 43.

² الرواية ص 15.

³

✓ وادي الريحان :

هي قرية بالقرب من نابلس هذه القرية التي شهدت حل إذا لم نقل أخذت المساحة الكبيرة بحضورها في الرواية.

ورد ذكره في «وصلتني رسالة من رحل يذكر فيها أن الوالد في مكان ما ، أي أنه حي يرزقه ، وأن الرحل هم عم لي ، و أن المكان وادي الريحان»¹

«...لفني نظري ذاك الفراغ و ذاك السكون ، فلاغ ناس و لا سيارات ولا أولاد ولا مارة ، فكل شيء ساكن جامد هامد حتى الكلان أمام الدور لا تنبح ، و القلط تمشي تحت أشعة الشمس الساطعة ، و روائح الزبالة و الزبل و عبير أشجار الكينا تشكل مزيجاً غريباً ملأني بالحزن و الاكتئاب و حنين أسر»²

أردت الروائية سحر خليفة من خلال "وادي الريحان" كمكان تعكس فيه لما آل حال البلد و نظام البلاد من حزاب و مزابل و فوضي و تقهقر اجتماعي صارخ فقد جدت نظرتها تشاؤمية تملؤها صدمة الواقع و الحال المخزي و تعفن الواقع الاجتماعي تابع كما أن هذا الفضاء يقدر من أبرز المؤشرات المتسببة في عامل الانطواء على الذوات أي الانغلاق الاجتماعي و الفكري .

مما سبق نلاحظ أن الروائية سحر خليفة جعلت من الأماكن المفتوحة مرآة عاكسة مجملتها و ملخصه واقع البلاد مركزية في وصفها على كل من القرية و الشوارع ، أما باقي الأماكن فقد ذكرتها ذكراً عابراً على عكس الأماكن المغلقة التي كان ظهورها في الرواية كثيفاً .

وحفلات وضخم زردات لا آخر لها ، أما ما يخص الوطن و القضية و القدس ، فلا جدل في ذلك ، فتسألت مرة أخرى في نفسها أهذا هو الميراث الذي دعاني إليه عمي ، قبل أن يفوت الآوان

¹ الرواية ص 11.

² الرواية ص 44.

أهكذا يكون تفكير و حياة شعب مسلوب الوطن و الهوية و ميراثهم الحقيقي مهدد بالضياح ، وهذا ما نفسره بالذل و الهزيمة و الحنوع النفسي الفلسطيني أمام صراعه مع اليهود :

المطار مكان واحد في طبيعته لكنه متعدد الوجوه في جوهره متعدد أوجهه باختلاف ما يجول في صدور رواده و مواطنهم بين من يعيش فضاء المطار متطلعا الى سياحة يحلم بها و يقصدها و بين من يقصد المطار مهاجرا مبتعدا عن موطنه و أهله تحت ضغط متطلبات الحياة ، فهو يمثل الحلقة وصل بين الداخل و الخارج¹

والمطار عند زينة مكان آخر مختلفة فيه الانتظار يصعب و يطول و تصبح الدقائق فيه ساعات، و يخفق لها فؤادها، فهي عائدة من غربتها الطويلة، عائدة إلى موطنها التي ماتت شوقاً لرؤيته. «وبدون أي تفكير طرت أول طيارة إلى مطار اللد ومن هناك إلى نتانيا وبتكسي إسرائيلي عبر الخط الأحمر حتى وصلت مشارف وادي الريحان²»

وورد ذكر المطار أيضا في نهاية الرواية تقول الرواية «أوصلني عمي إلى المطار وقال بعتاب- معقول تروحي وتتركينا؟³» فحاء فضاء المطار بوصفه منطقة عبور إلى الآخر عبور يعد مكاشفة الشرق في ثقافته وإحسانه، وملامح حياته وتفكيره.

مما سبق نخلص إلى أن الأماكن المغلقة كان حضورها جلياً في الرواية "الميراث" ولقد شكلت الأماكن المغلقة فضاءات لرصد أشكال التغير الاجتماعي على مستوى شامل وبخاصة في رصد ذلك التراجع والترهل الفكري والذل والهزيمة النفسية للشعب الفلسطيني.

ولقد استطاعت الروائية من خلال الأماكن المغلقة التعبير بكل واقعية عن الواقع الفلسطيني ابتداءً من البيوت.

¹ الأخضر بن سايح ، سطوة المكان و شعرية القص ، ص 127.

² الرواية، ص 43.

³ الرواية، ص 317.

أما فيما يخص الأماكن المفتوحة فلقد شكلت المرآة العاكسة فما آل إليه الواقع والكارثة البيئية والاجتماعية الذي حلّ بالبلاد.

كما عكست الأماكن المفتوحة ذلك التصدع والتشتت النفسي لدى الفلسطينيين.

المبحث الثاني: المكان وعلاقته النصية في رواية الميراث

لقد تحول المكان الروائي في السرد إلى موضوع وغاية في الوقت نفسه، يؤدي دوراً استراتيجياً، جعله يستقطب اهتمام الكتاب والنقاد والقراء، على حد سواء وبخاصة يعد ظهور ما يعرف بالرواية المكانية، بأبعاد هذا المكون، وبوظائفه الفنية والجمالية.

أصبح المكان مكوناً عضوياً، يتأثر بعناصر البنية السردية ويؤثر فيها، وقد أسعفه هذا الدور الفعال في أن يحتل مكانة هامة بين مكونات الرواية.

وعن تعالق المكان بعناصر البنية السردية، يذهب الناقد حسن مجراوي: « لا شيء في الرواية يتميز بالاستقلالية عن البنية المكانية، كما أن كل المواد والأجزاء والمظاهر الداخلة في تركيب السرد تصبح تعبيراً عن كيفية تنظيم الفضاء الروائي، وعليه يمكننا النظر إلى المكان بوصفه شبكة من العلاقات والرؤيات التي تتضامن مع بعضها البعض لتشييد مواقع الأحداث وتحديد مسار الحكمة ورسم المنحنى الذي يرتاده الشخص»

وعلى الرغم من أهمية التعالق الذي يقيمه المكان مع بقية عناصر البنية السردية، إلا أن الإمام به في مثل هذا المقام يعد أمراً بالغ الصعوبة، نظراً لتنوع وتشعب هذه الشبكة من العلاقات، ومن هنا ارتئى البحث التركيز على بعض المكونات أحسب أنهم على درجة بالغة من الأهمية، وقد بدا لي أنهم على قدر كبير من التواضع والتقاليد مع المكان في النموذج الروائي المختار "الميراث"، وأفهم على غرار الاهتمام بعنصر المكان استقطب اهتمام الروائية، فأولت لهم عناية فائقة، وشددت على علاقتهم بالمكان الروائي وهي كالأتي الشخصية والزمان والحدث، يحاول البحث التركيز على هذه العناصر السردية الثلاثة باعتبارهم يمثلون دينامية وفعالية في بنية المكان وانتاج دلالاته وتكثيفها.

1- شخصيات رواية "الميراث"

أ- الشخصيات الرئيسية:

✓ محمد حمدان:

لقد قامت الروائية بسرد الحكاية من البداية في إطار زمني طويل وامتداد مكاني مستفيدة من تقنية الاستدكار باستحضار هذا الأخير "محمد حمدان" وهو والد زينة، ذلك الفلسطيني الذي قدمته الرواية

على أنه ابن أمير كبير هاجمه البدو، وقد قتلوا أباه وأخذوا إمارته فأصبح يتيما بلا سند ، تقول الروائية «شايقة هادي باليدي؟ صورة أبوي ، كان أبوي أمير كبير، ومات قبيلته بدو أخذوا امارته»¹. وبعد أخذ امارته ودياره تبدأ رحلة التيه والضياع، أولا إلى الجزء الغير محتل من القدس (لاجئ في وطنه)، ثم يرحل إلى أميركا، هناك ينجح بأن يكون رجل أعمال وبزواجه من الأمريكية يتحصل على البطاقة الخضراء، لكن بالرغم من نجاحه المادي لم ترتح نفسه مع الوطن الجديد والزوجة الأمريكية، فالماضي حي في داخله، حاول ان يتناساه وأن يخلق لنفسه نظام الوطن البديل فالفلسطيني يحمل هويته أينما رحل وهو عاجز عن التماهي في المجتمعات الجديدة التي انتقل إليها، فداء الوطن الساحر يرن في أذنيه ويخرج الرنين إلى الفضاء الواسع تقول الروائية «هناك العيشة يا أخوان، هناك تحكي عربي وتأكل عربي وتحكي عربي، ما شعبنا من أميركا وقرف أميركا»².

✓ زينة "زينب":

تواصل الرواية تقديم مرحلة جديدة من تاريخ الشعب الفلسطيني المعاصر، فحين تفرغت من تجسيد جيل النكبة، تنتقل إلى الجيل الثاني ، جيل الأبناء الذين ولدوا وشبوا في المنافي تمثلهم "زينة" اسمها الكامل زينب محمد حمدان التي قررت العودة بعد توضيح اتفاق أسلو 1993م عندما وصلتها رسالة من عمها القاطن بوادي الريحان بفلسطين يطلب منها أن تحضر فوراً لاستلام الميراث بصفتها

¹ الرواية، ص12.

² الرواية، ص12.

البنات الوحيدة للثري محمد حمدان، وقد ذكر بأن زينة سيدة في الثلاثينات من عمرها، حققت نجاحا باهرا في أمريكا، حصلت على شهادة الدكتوراه، وصارت رئيسة علم الإنسان في الجامعة، وكانت ثرية وعاشت حياة البرجوازية، لكنّها مع ذلك كانت مشعبة، وتحس بالحرمان حالها في ذلك حال الجيل الثاني من الفلسطينيين الذين تربوا في بلاد غير بلادهم فوقعوا فريسة الشائيات المتناقضة التي تنازعهم فكانت وأبناء جيلها تقع بين البينين تقول الروائية « فيل ضياعي، لغتي ضاعت، هويتي ضاعت، وكذلك اسمي بالأصل زينب حمدان، ثم مع الوقت، أصبح زينة، كان الوالد محمد حمدان، ثم مع الوقت، صرت بلا محمد أو حمدان، أصل لا لوالد" وادي الريحان وانا ولدت في بروكلين، فزينة اذن بين البينين واللغتين و المفعولين ، مفعول بروكلين والصفة، مفعول الجدة والوالد بلا فاعل، بلا مفعول».¹

بواسطة زينة العائدة الى الوطن تتحدث الرواية عن السنوات الأخيرة من الانتفاضة التي انطلقت في كانون الاول 1987م، وهي السنوات التي سبقت توقيع اسلو، وتعرضنا على الكثير من فعاليات الانتفاضة من كتابات وشعارات، وما يقابله ذلك من الإجراءات الاسرائيلية، المشددة لقمع الانتفاضة على رأسها العقاب الجماعي، أو ما ينجم عنه من تراكم القمامة، وانفتاح المجاري والخوف الذي يسيطر على الجميع حتى الكلاب لا تنبح، تقول الروائية «... ولفت نظري ذلك الفراغ، وذلك السكون فلا ناس ولا سيارات ولا أولاد ولا إمارة، فكل شيء ساكن جامد هامد، حتى الكلاب، أمام الدور لا تنبح والققط تمشي تحت أشعة الشمس الساطعة ببطء وبلادة، وروائح الزبالة والزبل....»² فهذا الواقع صدم البنت زينة لما آل اليه الحال والوضع المزري ومخالف لما كانت تحلم به.

¹ الرواية ص18.

² الرواية ص44.

✓ فتنة:

وهي من الشخصيات المحورية التي استندت إليها الرواية، وهي فتاة مقدسية جميلة، برجوازية الثقافة، تتخذ من مظهرها الخارجي محورا في علاقاتها بمن حولها وهي ابنة ايدولوجية تقليدية تؤمن، بسر جاذبيتها يكمن في شكلها، وأما عن عقلها فهو صغير لدرجة الغباء ولا علاقة لها بالسياسة وقضايا الوطن تقول الرواية «... وربما كانت هي أيضا تعرف هذا، فتعوض النقص بلباس قصير وصبغ الشعر والزواق، وكانت ألوانها منسجمة و ملابسها، توحى بالذوق وبعض الرقي، ولا بد أن وسطها الاجتماعي لا بأس به لكنها بدون ثقافة وبعقل يبلغ حدّ الغباء ماذا أتوقع من الوالد».¹

وتزوجت فتنة ممن الشري العجوز محمد حمدان من بلدة وادي الريحان، على الرغم من فارق السن بينهما، تتصاعد الأحداث، وتنمو شخصية فتنة عقليا حين يكون زوجها على فراش الموت، وتفكر بالميراث، وتخشى أن يذهب إلى ابنته الوحيدة (زينة)، حتى هذه لا تحجب الميراث فيذهب إلى الغرباء ولحل هذه المشكلة تلجأ إلى الحيلة فتحمل بالتلقيح في مستشفى همدسا ساعين كارم من رجل يهودي، وبعد موت زوجها تعلن أمام الجميع أنها حامل بولد من الوالد بحجب الميراث عن بقية أفراد الأسرة، وهذا الأمر أثار عند الغالبية مشاعر الاستهجان والاستنكار وخاصة أمها أميرة سليلة الحسب والنسب .

ب- الشخصيات الثانوية:

✓ نهلة:

وهي ابنت عم زينة، وهي رمز المرأة التي تسعى إلى تحرير الذات، وتحرير الوطن تجد نفسها على الرصيف بلا بيت، بلا زوج، بلا ولد أي بلا وطن، بلا سند بلا مستقبل وهكذا تنجح السياسة الجديدة في تمجيد الكفاءات وأصحاب العقول إلى الغرب « فلا يبقى في البلد عقل يفكر ويتنافس،

¹ الروايات ص55.

يقبل ويرفض الله وكيلك ما يبقى عندي غير الزبالة»¹، وشكلت أيضا نحلة شتات أمر وحال العائدين والمغتربين من الكويت فوجدت نفسها في حالة تيه وضياع لا عمل لا أسرة.

✓ كمال:

كان كمال يمثل شريحة المادية التي تقيس الأمور بمقاس الريح والخسارة، وعلى النقيض منه جاءت شخصية زينة أنموذج المثقفين، تقول الرواية «التفت كمال لا ما بمزح يا جماعة الخير كونوا واقعيين، هذي البلد مارج يشلها من ورطتها غير الصنّاعة والتصنع، داقين بالأرض وكأنه الأرض شيء مقدس»²، ويظهر التناقض الواضح بين كل من زينة التي ترى أن هزيمة العدو بالعلم والثقافة وتمسك بالأرض، فحين نجد أن كمال المغترب فيرى أن العمل وتجسيد الهياكل الصناعية والمصانع هي سر التفوق على العدو ولو كان على حساب الأرض.

هذه بعض الشخصيات الواردة في الرواية على سبيل المثال لا الحصر غير أننا نلاحظ من خلال الشخصيات ما يلي:

- 1- من خلال شخوص الرواية الذين اختارهم الروائية بعناية مع سبق الإصرار وقصدت منهم أن يمثلوا الشعب الفلسطيني بشرائحه المتعددة، لتطرح من خلالها الرؤى السياسية الاجتماعية والفكرية.
- 2- بدت شخصيات الروائية مهزومة داخليا وخارجيا ، الهاربة أبدا والتي فقدت الحلم والمستقبل.

2- علاقة المكان بالشخصية

« إن المكان بالرغم من أهميته بالنسبة للرواية، إلا أنه لا يتبلور ولا يتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تشغله وتصنع الأحداث وتكشف عن أثر المكان بها في هذا المكان " أي أن الشخصيات تضيء على المكان دلالات مجازية يحققها المؤلف من خلال توزيع الشخصيات البطلة

¹ الرواية ص 65.

² الرواية ص 132.

في خلق نظام مكاني يؤسس ضمن فوضى المكان الذي يزجهم فيه المؤلف، والذي يحقق أيضا منظوره الفلسفي والجمالي من جانب منظور أبطاله الأيديولوجي والنفسي من جانب آخر»¹.
كما يشير " عدي عدنان محمد" في كتابه " بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ أن الشخصية الروائية « قد تنسجم مع المكان فتحبه وتعيش في ألفة معه، وقد لا تنسجم الشخصية مع المكان فتكرهه وتشعر بالتناقض معه، واذ هذا التناقض يخلق نوعا من الصراع بين دواخل الشخصية وما تشعر به والمكان الذي تعيش فيه، فيخلق هذا الصراع أبعاد الشخصية وعلاقتها مع انماط المكان المختلفة»².

وعليه فإن تعرف المتلقي على الأمكنة الواردة في الرواية يمنحه فرصة الكشف عن الملامح الداخلية والخارجية للشخصيات و وذلك باعتماد الروائي على أشكال مميزة في ظهور الشخصية وتقديمها، وهذا توصلنا اليه في رواية " الميراث".

أ- علاقة انتماء:

ونقصد بما الألفة والود والشعور بالأصل وامتداد الجذور في أرض الوطن التي تجمع الشخصية الروائية بالمكان، وقد هذه العلاقة في الرواية بامتياز، ومن ذلك قول الروائية في العديد من المقاطع منها «إذ أحسست ساعتها أنني أقف أمام نافذة خلف ستائرها تكمن ملامح البلد الذي طالما حلمت برؤيته، وحنان الاهل الذين فقدتهم، منذ دفء الانتماء الى الجذور بحثت عنها بلا طائل»³، فالروائية ترى أن مهما سافر واغترب أو هجر الانسان عن موطنه فسيبقى ذلك النبض الخافق لأرض الوطن مهما طالت السنوات وابتعدت المسافة، فالإنسان لا كيان له بدون موطنه وأهله وجذوره. ويظهر في مقطع آخر «هناك العيشة يا اخوان، هناك تحكي عربي وتاكل عربي وتشرب فهو عربي بعربي، وإذا احتجت لمساعدة تلاقى ألف إيد ممدودة، وإذا بدك مصاري تأخذها.

¹ مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ص177.

² عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء للجاحظ" دراسة في ضوء منهجي بروب وغريماس"، عالم الكتب الحديث، اردن الأردن، ط1، 2011م.

³ الرواية ص43.

من أي صديق، لا بنوك ولا كمبيالات ولا وجع راس»¹

فالوطن ليس الشعور به مقتصر على الانتماء فقط فهو ابعد من ذلك وهذا ما تؤكد الروائية في المقطع السابق فهي تؤكد أن الوطن هو الرائحة والامان والتكافل والتضامن التلقائي بدون أي خلفيات.

ب- علاقة التنافر :

ونعني به عدم انسجام الشخصية مع المكان الذي تتواجد به، والمتبع للرواية لا يخفى عليه ملاحظة التنافر الذي تعاني منه بعض الشخصيات مع المكان الذي تعيش فيه، مما يعمق في نفسيتها الشعور بالاغتراب، تقول الروائية على لسان كمال مشيرة إلى الانفصام الواقع بينه وبين مدينة فرانكفورت « وحين تحقق أن الشعب صار حياته أصابه جوع آخر لعمل يضيئ الكون، جوع لأرض لا تحزن لنظافتها، شيء غريب! حتى براميل القمامة ، تلك البراميل البراقة في فرانكفورت كانت تثير لواعجه ويحسّ بجزن لا يفهمه اهو الغيرة؟ أهو الحسرة؟.... ويحس شذى وادي الريحان يملأ انفه، يسري في كامل اعضائه ويعيد إلى قلبه دقاته»².

مما سبق نخلص إلى أن العلاقة بين الشخصية والمكان تبقى علاقة ترابطية، إذا لا يمكن بأي حالة من الأحوال الفصل بينهما في الرواية أو الاستغناء عن أحدهما فبحضورهما معاً تكتسب الرواية طابعها الجمالي والمعرفي.

كما نجد أن المكان في رواية الميراث من خلال الشخصيات لم يوفر أي لحظة وطمأنينة وأمن بمستقبل أفضل فكانت علاقة الشخصية بالمكان علاقة سلبية بنظرة متشائمة وسوداوية.

3- علاقة المكان بالزمان:

«إن الزمن في الرواية، زمن داخلي، هي حركة الشخصيات والأحداث والزمن الروائي ليس زمنا واقعيا، إنما هو زمن تكثيف وقفز وحذف وتقنيات يستخدمها الروائي لتجاوز التسلسل المنطقي للزمن

¹ الرواية ص12.

² الرواية ص192.

الواقعي الموضوعي، إنه زمن ، يتحرر فيه الراوي من قيوده، ويتسع وتقلص، وتتجلى مهمة الزمن الروائي في خلق الإحساس بالمدة الزمنية الروائية والإلهام التام بأن ما يعرضه الروائي هو واقع حقيقي قد يختصر في جملة بسيطة مدة قد تتجاوز سنوات في الزمن الواقع لذلك نجد أن عالم الرواية له زمنه الذي تحكي عنه الرواية أو الذي تتناول عناصر منه كالشخصيات والأحداث»¹.

ويعد الزمن أحد العناصر التي لا تنفصل البتة عن المكان وأن «علاقة المكان بالزمان هي علاقة توحيدية، تكمن في انتقال الشخصية عبر الزمان من مكان معين إلى آخر من ثم إلى مكان آخر حتى تعود إلى مكانها الأصلي»².

ولقد اقرّ لوك: « أن الأفكار تصيح مجردة بانفصالها عن ظروف المكان والزمان، فلا تصيح محدودة إلا عندما تتعين هذه الظروف»³.

وعليه نجد أن الزمان من اللبانات الأساسية التي تقوم عليها الرواية والعمل السردى بصفة عامة ويجعل كل من العناصر الأخرى ذات بعد ومعنى وانسجام في الأفكار.

فالمكان يسير مع الزمان الى جانب بعضها البعض بخط واحد ، مما يعني انهما لا ينفصلان أبدا «فعلاقة الزمان بالمكان كعلاقة العقل بالجسد ، فلا يكون الاول إلا بوجود الآخر، ولا تكون الحياة وجودهما معا، فإذا كان المكان مستقلا عن الزمن فهو ميت»⁴.

والمقصود من الموت هو موت الفكرة والمعنى، فالمكان بمثابة الجسم للإنسان، والزمن هو العقل أو الاعضاء التي تحرك هذا الجسم وتحدده وتوجهه ، وهذا ما توضحه بعض مقاطع الرواية قيد الدراسة، ومن ذلك تقول الروائية « بعد العصر امتلأت الدار بالأهل والجيران حتى لم يبق لديهم

¹ مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينه، ص229.

² عدي عدنان محمد، بنية الحكاية للبخلاء للجاحظ، ص171.

³ ايان واط، نشوة الرواية، تر نائر ذيب، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، 2008، ص28.

⁴ حنان محمد موسى حمودة ، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، " احمد عبد المعطي نموذجاً"، علم الكتب الحديث، اربد ، الأردن، ط1، 2006، ص.

كرسي واحد»¹ وتقول أيضا « وذهبنا إليهم يوم الجمعة بعد العصر وقت الديوان، ووجدنا الغرفة محشوة بالأقارب وبعض الزوار»²

وتقول أيضا « وصلنا لمستواري قبل الظهر، وكان الطقس مبلولا والمطر ييخ وباب الخليل كالعادة معجوقة بالسياح»³.

يتبين لنا من خلال المقطعين السابقين، كيف ان المكان والزمان متلازمان، بحيث يسهل تواجههما المتجاوز استيعاب أحداث الرواية بكل يسر، مما يزيل الغموض الذي كثيرا ما ينفر منه القارئ للرواية.

وتقول في مقطع آخر «أنا عشت بفرانكفورت 5 شهور قبل ما أروح على واشنطن»⁴ « هو الذي عاش في واشنطن 5 سنوات، وقبلها تركيا واسبانيا وبقية الدول»⁵

من خلال المقطعين السابقين نجد ارتباط للمكان "واشنطن" بالزمان (5سنوات)، ومدينة فرانكفورت بالزمان (5 شهور) .

يتضح من الكلام السابق أن العلاقة الوطيدة بين الزمان والمكان تتجلى من خلال العلاقة التكاملية التي تربط بين هذين العنصرين، بحيث لا يمكن الفصل بينهما، فالحديث عن المكان يستدعي الحديث عن الزمان أيضا، فهذا الاخير يعد آلية من الآليات التي تقتضي الإشارة إليها عند دراسة أي عنصر من عناصر الرواية.

4- النسق الزمني في رواية الميراث

إنّ المشاكل التي يطرحها الزمن السردى على الروائية يستدعيها حلها عن طريق السرد الاستذكاري الذي يشكل مقاطع استرجاعية والسرد الاستشرافي وهو الذي يعرض لأحداث لم

¹ الرواية ص48.

² الرواية ص79.

³ الرواية ص87.

⁴ الرواية ص143.

⁵ الرواية ص248.

تتحقق بعد، وهناك أيضا نقطة ثانية تتم عن طريق الاختزال ونموذجه السردى التلخيصي حيث يستعرض الكاتب استعراضا سريعا لأحداث تستغرق مدة طويلة، ثم الحذف بإسقاط مرحلة بكاملها من زمن القصة وكله تسريع للسرد .

أ- السرد الاستذكارى (الاسترجاع)

يقول تودورف « الاسترجاعات أكثر توترا، فتروى لنا فيما بعدما قد وقع من قبل»¹، وفيها تترك الكاتب مستوى القص الأول ليعود إلى بعض المعاني الجديدة، إذ كلما تقادمت الذكريات تغيرت النظرة إليها، وبالتالي يتغير تفسيرها في ضوء ما استجد من أحداث

ويذهب جيرار جينيت إلى أن « الاسترجاع بالقياس إلى الحكاية التي تندرج فيها حكاية ثابتة زمنيا، تابعة للأولى ويطلق عليها تسمية الحكاية الأولى على المستوى الزمني للحكاية الذي بالقياس إليه تتحدد مفارقة زمنية بصفتها كذلك»²

يرى جيرار جينيت بأن تقنية الاسترجاع هي الرابط الثاني أو الجزء الثاني للحكاية الأولى والمفارقة بينهما وبين الأول هي الزمنية فقط.

ورواية الميراث كرواية مزجت بين الماضي والحاضر استدعت آلية الاسترجاع لربط الماضي بالحاضر من جهة ولتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائي ومن بين الاسترجاعات التي وردت في الرواية ما يلي:

تقول الروائية «في الشارع الخلفي مشيت وحاولت استعادة الملامح والاحداث هنا كذا ، هنا صرنا، هنا الكورنيش في المعرفة وأشجار الحي الغربي وراء النهر»³.

وكما تعود البطلة "زينة" في تداعياته إلى مرحلة الطفولة وهي بنيويورك تقول:

¹ تود روف، الشعرية، ترشكري المبحوث ورجاء بن سلامة دار توبقال للنشر، ط2، 1990م، ص48.

² جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ص60.

³ الرواية ص32.

« وذات يوم بينما كنت واقفة على السطح أتلصص على عاشقين يتغارمان في الظلمة وأتعلم ضبطني الوالد متلبسة بالجرم المشهود، فما كان مني إلا أن اخترعت قصة زعمت فيها اني صائمة وأني هناك بانتظار الآذان»¹.

وتواصل البطلة العودة بنا الى ماضيها مع والدها طفولتها في نيويورك تقول: « ابتدأت القصة في نيويورك حين جاء الوالد من القرية وتزوج امرأة أمريكية»².

إن هذه المقاطع الاستذكارية تعود بنا الروائية من خلالها لتروي بداية منفي أبيها وشتتهم عن أرض الوطن وهي فترة تتجاوز بكثير نقطة انطلاقة السرد الأصلي وذلك لتحدثنا عن طبيعة حياتها في نيويورك.

ب- الاستشراق:

« يستعمل مفهوم الاستشراق "للدلالة على كل مقطع حكائي يروي أو يثير أحداثا سابقة عن أوانها أو يمكن توقع حدوثها، ويقضي هذا النمط من السرد بقلب نظام الاحداث»³.

والمقصود من هذا ان الاستشراق هو نوع من التنبؤ وعليه يعد كوسيلة لقلب نظام الاحداث. ولعل أبرز خاصية له أن المعلومات التي يقدمها لا تتصف باليقينية، فما لم يتم قيام الحدث بالفعل فليس هناك ما يؤكد حصوله، وهذا ما يجعل من الاستشراق حسب فيزيخ شكلا من أشكال الانتظار.

والمقصود من هذا ان أحداث أو رؤية الاستشراق غير يقينية وهي على عدة احتمالات قد تحصل وقد لا تحصل.

نجد في رواية الميراث نجد ان الاستشراق فيها ضعيفا وذلك ان الرواية الواقعية بطبيعتها وبصورة عامة تحمل الاستشراق ولا تأخذ به، وتهتم بالاسترجاع وورد في واحد في الرواية في آخرها تقول الروائية «... وصاح ثانية وصاح الطفل، وقال أحدهم وهو بصوت بوز الرشاش:

¹ الرواية ص14.

² الرواية ص11.

³ حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص132.

يقول قف

فقالت بهدوء: حاضر، حاضر، ومدّت يديها لهم بالطفل وهو يصرخ وقالت بهدوء ورأس مرفوع بالإنكليزي «thank you, very much, this your share»¹.

أي بمعنى شكرا جزيلًا، هذا فهو استشراف ورؤية مستقبلية، وجوانب على كل تطلعاتها السابقة كلها، فهي في رواية الميراث هي حكاية شعب تهزمه هزائمه على كل الأصدقاء، فهي هزيمة القائد في الثورة، وهزيمة الوالد في الأسرة، وهزيمة العالم في مشروعه وهزيمة المناضل في ثورته، ثم الميراث في النهاية يرثه ابن عم غير شرعي، لأنّ الابن يحجب الميراث.

ج- الاستباق:

«يعني مفهومه الفني تقديم الأحداث اللاحقة و المتحققة حتما في امتداد دينية السرد الروائي على العكس من التوقع الذي لا يتحقق»².

المقصود من ذلك أن تكون الأحداث في الاستباق يشترط فيها حتمية التحقق في امتداد بنية السرد.

كما يستخدم الاستباق لتوقع ما سيحدث في المستقبل، ولا يهم الكاتب بالزمان في حد ذاته، بقدر ما تهمه دلالة الذاتية والاجتماعية التي تخرج بها من دائرة التصور المكاني للزمان إلى آفاق مستقبلية وورد الاستباق في رواية الميراث في مواضع قليلة:

« إذا حسست ساعتها أني أفأ امام نافذة خلف ستائرها تكمن ملامح البلد التي طالما حلمت برؤيته، وجنان الاهل الذين فقدتهم منذ الطفولة»³.

فالرواية في هذا المقطع تستبق شعور وصولها إلى أرض الوطن واجتماعهما بالجذر المقطوع بالأهل والأحبة.

¹ الرواية ص 316

² حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي، ص 133.

³ الرواية، ص 43.

وتواصل الروائية استباقها للسرد إذ تقول « وقبل أيام من بدء الاحتفالات انقلب الحال في الشارع وبدا سكان وادي الريحان في ذروة النشاط والحيوية»¹.
في هذا المقطع تحاول الروائية تستبق نشوة الفرحة والانفراج ومجيبى الاحتفال في أحياء قرية وادي الريحان.

5- علاقة المكان بالحدث:

يعد الحدث مكوّنًا رئيسيًا وأحد أهم عناصر الرواية، وهو العنصر الأخير من عناصرها: «الزمان ، المكان الشخصيات- اللغة- الحدث» ويعدّ أبرز عناصر الرواية، لأنه يكوّن العمود الفقري لمجمل العناصر الفنية السابقة ومما شك فيه أن الأحداث التي تتعلق بمكان ما، قد يتغير أو يستحيل حدوثها في مكان معاير، فالحدث الذي يدور على سفينة في البحر يختلف غيره الذي يكون في الصحراء عن ثالث يكون في مدينة تمور بالحركة والحياة، ومعنى هذا أن الحدث الروائي «لا يقدم إلا من خلال معطياته الزمانية والمكانية ، ومن دون هذه المعطيات يستحيل على السرد أن يؤدي رسالته الحكائية»²

والمكان لا يشكل في الرواية ولا يأخذ شكله الروائي إلا من خلال ما يرتبط به من الأحداث «وليس هناك أي مكان محدد مسبقا، وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي تقوم بها الأبطال... وعلى هذا الأساس فإن بقاء الفضاء الروائي يبدو مرتبطا بخطة الأحداث السردية، وبالتالي يمكن القول إنّه هو المسار الذي يتبعه تجاه السرد والحدث هو الذي يعطي للرواية تماسكها وانسجامها... إن المكان هو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث»³، ولن تكون هناك رواية ما لم يكن هناك مكان ما يلتقي فيه شخص ويقع فيه الحدث ما تحتاجه الحكمة الروائية والموضوع الروائي.

¹ الرواية، ص 279.

² حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي، ص 29.

³ المرجع نفسه، ص 29.

ومن خلال رواية "الميراث" نجد الروائية صحر خليفة قد ربطت أحداث الرواية منذ بدايتها إلى نهايتها بالمكان، فنجد بمجرد فتح الصفحة الأولى للرواية تقول « جئت إلى الضفة ... وان الرجل عم لي وان المكان وادي الريحان»¹.

نجدها في قولها « ابتدأت القصة في نيويورك حين جاء الوالد من القرية وتزوج امرأة أمريكية»².

وهنا نجد تسرد أحداث بداية روايتها وبداية معاناة زينة وأباها محمد بنيويورك حين ابعدها عن أرض الوطن..

وتقول: « وحتى وصلت مشارف وادي الريحان وهناك على مدخلها... »³

وحتى حين قرارها الرجوع والمجيئ إلى رض الوطن وتلبية دعوة رسالة عمها لها، بحيث ربطت حدث مجيئها أيضا بالمكان المقصود بقرية " وادي الريحان " .

والمتتبع لمسار أحداث رواية "الميراث" وحتى وصفها لما آل اليه الواقع الفلسطيني من ترهل فكري ونفسي اعتمدت في ذلك على المكان.

وحتى عند رحيلها ونهاية روايتها ربطتها بالمكان تقول « اوصلني عمي إلى المطار وقال بعتاب:

معقول تروحي وتتركيني... »⁴

من خلال ما سبق نجد أن المكان كان الأرضية الخصبة للرواية لسرد مسار روايتها وطرح أفكارها من خلال تلك الأحداث ، وعليه فكل من المكان والحدث هما عنصران متفاعلان ومرتبطان مع بعضهما البعض فلا وجود للمكان إلا خلال الاحداث ولا أحداث ذان أفكار ومعاني إلا من خلال المكان.

¹ الرواية ص 11.

² الرواية ص 11.

³ الرواية ص 43.

⁴ الرواية ص 318.

- من خلال ما تطرقنا اليه في هذين المبحثين دلالة الامكنة وعلاقة المكان بالعناصر السردية نجد ان الروائية سحر خليفة:
- لم تهتم بالمظاهر السطحية لمكان بل أعطت للمكان العديد من الدلالات النفسية والاجتماعية وعلاقة هذا المكان بحالات المجتمع المختلفة.
- لم تجعل الروائية المكان في روايتها "الميراث" ومعزولا عن بقية العناصر المشكلة للرواية ولا سيما الشخصيات والزمان والحدث، فالمكان اكتسب اهمية من خلال حركة الشخصيات فهو يتأثر بها وتؤثر فيه أما الزمان فهو شديد الارتباط بالمكان، حتى إنه يكاد يكون ملازما له في كل الأحيان وجعلت الاحداث كروح تحيي بها الأمكنة الواردة في الرواية.

الخاتمة

الخاتمة

ازدادت العناية في السنوات الأخيرة بدراسة البنى المكانية في الأدب بوجه عام والرواية بوجه خاص، وبدا ذلك واضحاً عبر معالجات الباحثين والنقاد بفضل تطور النقد الحديث وتعدد مناهجه ونضج رؤاه، ولما تشكلت تلك البنى من أهمية بالغة في تشكيل الفضاء الدلالي الذي يفصح عن النصوص لذا كانت غاية هذه الدراسة استجلاء سيميائية المكان عن الروائية سحر خليفة. وتكمن جودة الدراسة لمقاربتها تشكل المكان وتظهره بكافة دلالاته وأبعاده ومستوياته عند سحر خليفة عبر روايتها "الميراث".

ومن خلال الدراسة اتضح اهتمام الروائية "سحر خليفة" بالمكان، لكونه أحد العناصر الفنية المهمة والمكونة للرواية لذا يمكن تلخيص أهم النتائج كالاتي:

أولاً: تعد الروائية سحر خليفة بإبداعاتها من الروائيات العربيات القلائل اللواتي لهن حضور لدى القراء والنقاد على حد سواء، فهي تمثل اتجاهها يعبر عن الرفض، والتمرد لكثير من القضايا والموضوعات التي تهم المواطن العربي بوجه عام والفلسطيني بوجه خاص، ولعل أهم هذه الموضوعات رفض الاحتلال والمقاومة.

ثانياً: احتل عنصر المكان حيزاً مهماً في المدونة، بل جعلت منه القاعدة والركيزة، وتبرز المدينة كمحور رئيس، ثم القرية ثم مدينة القدس ورام الله وغيرها، وبصورة أقل تظهر أماكن أخرى كالبيت أو الشارع أو الساحة، وهي تريد من خلالها اتباع تمسك الفلسطيني بأرضه رغم قهر الاحتلال والعوائق على أرض الواقع.

ثالثاً: تراوح توظيف الروائية للأمكنة بين المغلقة والمفتوحة، وفق نسق معين، حتى تخلق نوعاً من اللحمة بينها وبين العناصر السردية الأخرى. مثلت المغلقة عالماً خاصاً حميمياً، كشف عن طبيعة كل شخصية وأغوارها ودرجة تعاملها مع العالم الداخلي، وعلاقتها بالعالم النقيض له. أما الأماكن المفتوحة فعكست ذلك التصدع والشتات النفسي لدى الفلسطينيين.

رابعاً: اكتسب المكان أهميته من تظافره مع عناصر الرواية الأخرى وتأثره وتأثيره بها، فظهر المكان أليفاً تارة ومعادياً تارة أخرى تبعاً للدور الذي يمارسه على الشخصية المتناولة.

خامساً: جاء وصف الروائية للمكان من مركز الرؤيا المعطاة للشخصية والحدث وكيفية تمثيلها بشكل أكثر واقعية بدون أي تزيف أو تحميل، أي أن الروائية اهتمت بإبراز البيئة المكانية من خلال مظاهر الحياة الاجتماعية الواقعة فيه.

سادساً: هيمنة الأمكنة على متن الرواية موضوع الدراسة، حضوراً وتواتراً، مما أدى إلى تعدد صوره ودلالاتها وأبعادها، وبالتالي انعكس على الجانب الجمالي للرواية ومعمار العام.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

❖ القرآن الكريم: رواية ورش عن نافع.

أولاً: المصادر

1) سحر خليفة: الميراث، دار الآداب، بيروت، ط2، سنة 2007.

2) محمد الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، سنة 1984، مج16.

المعاجم:

3) محمد بن مكرم بن منظور الأنصاري، لسان العرب، تح عامر أحمد حيدر، دار العلمية، ب ط، سنة 2005.

4) محمد بن الحسين بن دريد، جمهرة اللغة، تح رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، ط1، ج3، سنة 1987.

5) اميل بديع يعقوب، المعجم المفصل في الجموع، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، سنة 2005.

6) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، تح محمد عبد الرحمان المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ط1، سنة 1997.

ثانياً: المراجع العربية

7) الأخصر بن السايح ، سطوة المكان وشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد دراسة في تقييات السرد، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن ط¹، 2011م.

8) باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، ط1، أربد الأردن.

9) حسن بجاوي: بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، سنة 1990.

10) حسن مجيد العبيدي: نظرية المكان في الفلسفة الإسلامية، ابن سينا، دار تينوى، سوريا، سنة 2007.

قائمة المصادر والمراجع

- 11) حسين خمري: فضاء المتخيل، ب ط، منشورات دار الثقافة، سوريا، سنة 2001.
- 12) حنان محمد مرسي حمودة: الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث، أربد، الأردن، سنة 2006.
- 13) سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية، مطبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب، د ط، سوريا، سنة 1985.
- 14) سيزا قاسم ونصير حامد أبوزيد (السيميوطيقا) حول بعض المفاهيم والأبعاد مدخل إلى السيميوطيقا.
- 15) الشريفة جبيلة، بنية الخطاب الروائي "دراسة في روايات نجيب محفوظ الكيلاني"، عالم الكتب، أربد، الأردن، سنة 2010.
- 16) عبد الحميد في بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي.
- 17) عبدالله زيد صلاح، دلالة المكان في الشعر اليمني المعاصر، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، سنة 2014ز
- 18) عبد المالك مرتاض، تحليل الخطاب السردي، معالجة تفككية سيميائية مركبة لرواية زقاق المدق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 1995.
- 19) عدنان نجا وخالد حسن، المواريث في الشريعة الإسلامية، منشورات دار لبنان للطباعة والنشر، د ط، لبنان.
- 20) عدي عدنان محمد، بنية الحكاية في البخلاء، الجاحظ.
- 21) فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، سنة 1431 هـ/2010م.
- 22) مهدي عبيدي، جماليات المكان فب ثلاثية حنا مينا.
- 23) مولاي علي بوحاتم، الدرس السيميائي المغربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، سنة 2005.

قائمة المصادر والمراجع

- 24) ياسين نصير، الرواية والمكان، دراسة المكان الروائي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق، سنة 2010.
- المتجمة:
- 25) ايات واط، نشوء الرواية، ترجمة: ثائر ذير، دار الفرقد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، سنة 2008.
- 26) تودوروف، الشعرية، ترجمة: شكري المبخوت ورجاء سلامة، دار توبقال للنشر، ط2، سنة 1990.
- 27) جيارر جنيت وآخرون، الفضاء الروائي، ترجمة: عبد الرحيم خزل، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، سنة 2002.
- ثالثا: الرسائل الجامعية:
- 28) بولعل كمال، سيميائية الفضاء في رحلة أبو حامد الغرناطي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة منتوري قسنطينة 2005-2006 (رسالة ماجستير مخطوط).
- 29) جوادي هنية، صورة المكان ودلالته في روايات واسيني الأعرج، قسم الآداب العربية واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، سنة 2013 (رسالة ماجستير مخطوط).
- 30) رضا السيد ع شماوي محمد، رؤية المكان في روايات «يوسف السباعي»، دراسة فنية تطبيقية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة المنصورة 2010/1431 (رسالة ماجستير مخطوط).
- 31) سعدية بن يحيى، دلالة المكان في رواية "عابر سرير" لأحلام مستغانمي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر 2007/2008 (رسالة دكتوراه مخطوط).
- 32) كمال جدي، المصطلحات السيميائية السردية في الخطاب النقدي عند رشيد بن مالك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرياح 2011-2012 (رسالة ماجستير مخطوط).

قائمة المصادر والمراجع

33) منال بنت عبد العزيز العيسى، الذات المروية "على لسان الأنا" دراسة في نماذج الرواية العربية قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة الملك سعود سنة 1431هـ/2010م (رسالة دكتوراه مخطوط).

رابعاً: المجالات والدوريات:

34) بخولة بن الدين، عتبات النص الأدبي، مقارنة سيميائية، جامعة البحرين، ماي 2013.
35) بسام أبو بشير، جماليات المكان في رواية باب الساحة، لسحر خليفة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الأقصى 2007/04/17.

36) حضور القدس في المشهد الأدبي الفلسطيني المعاصر ما بين (1900-2009) بجامعة القدس المفتوحة في 26 أكتوبر 2009.

37) حمزة قريوة، مشري بن خليفة، مجلة قسم الأدب العربي، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة.

38) رضا السيد عثماوي محمد، رؤية المكان في روايات يوسف السباعي، كلية الآداب المنصورة، سنة 2015.

39) محمد داود، المدينة في الرواية الجزائرية، للفضاء القسنطيني في رواية الزلزال، مجلة إنسانيات، 23 مارس 2017.

40) مصطفى الضيع، سحر خليفة، أيقونة الرواية الفلسطينية، موسوعة أبحاث ودراسات في الأدب الفلسطيني الحديث، ج4.

41) نزهة أبوعوش، قراءة في رؤية أصيل وفصل، جريدة تشرين السورية، تاريخ 2010/02/30.

خامساً: المواقع الإلكترونية:

www.aranthropos.com (42)

www.Faculty.KSU.edu.com (43)

www.Fatwa,shmrwcle.com (44)

www.Wikioedia.org (45)

الملاحق

الملاحق

ملخص رواية " الميراث "

رواية الميراث هي إحدى روايات الكاتبة " سحر عدنان خليفة " والتي انتهت من كتابتها سنة 2002م، وقد تحصلت على تكريم من الجامعة الأمريكية بمناسبة ظهور هذه الرواية رواية الميراث " باللغة الانجليزية رواية الميراث هي أكثر من رواية، هي رحلة البحث عن الحق في الحياة، امتازت بخطاب أيديولوجي منفتح وجريء ينتقد الواقع، وتنم عن رؤية لكاتبة مثقفة، تعيش القصة وتدافع عنها، ورواية الميراث تأتي على وصف حياة الفلسطينيين بعد " أسلو " ويمتد زمنها الروائي إلى فترة بعد دخول القوات الفلسطينية إلى المدن العربية في الضفة الغربية والقطاع. وقد جاءت الرواية على ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول: والذي جاء تحت عنوان بلا ميراث.

ولقد جسد هذا الجزء الواقع النفسي والاجتماعي المرير والمتخبط للمهاجرين الفلسطينيين في المهجر بعيد عن أرض الوطن ، الذين يحاولون إيجاد انفسهم في أرض لا الماء ماؤهم ولا الهواء هوؤهم هذا من جهة ومن ناحية ثانية محاولتهم للحفاظ على مبادئهم وعقيدتهم وتجسد هذا الصراع في عائلة محمد وابنته زينة كنموذج عن باقية المهاجرين والمغتربين الفلسطينيين، بحيث تبدأ أحداث هذه الرواية بوصول رسالة لزينة ابنت السيد محمد من عمها في أرض الوطن " فلسطين " يخبرها بأن والدها حي يرزق وأنه قاطن بوادي الريحان. وعلى اثر وصول هذه الرسالة بدأت زينة باسترجاع كل الأحداث منذ وصول والدها محمد إلى نيويورك، وتذكرت كل الصراعات والتخبطات بين مواقع المرير والحنين لأرض الوطن فهم شعب تائه بلا وطن وبلا هوية، بلا مبادئ بلا قيم وهذا ما قصده الروائية من خلال عنونتها لهذا الجزء بلا ميراث، فالميراث الحقيقي لكل فرد ولكل شخص هو الوطن فهناك تكمن قيمة الحياة وترسوا السكينة في القلوب والأمن في النفوس.

الجزء الثاني: والذي جاء تحت عنوان " هذا الميراث " عزمت الابنة زينة على تلبية دعوة عمها

من ناحية ، ورغبتها بوصول الوطن والجذور المقطوعة، والحنين إلى البلد بدأت رحلتها إل مطار باللد

إلى نتانيا ومنها إلى وادي الريحان وكانت زينة في قمة الشغف، ولكنها بمجرد وصولها كانت الصدمة لما شهدته عينها متناقض ومنافي لما كانت تحمله في مخيلتها عن جمال البلد وتحسرت لما آل إليه الحال من فراغ وصمت يدب في الشوارع المليئة بالروائح والمزابل الكريهة، وزاد ذهولها أكثر، حين وصولها إلى بيت عمها وجدته ولا أروع من نظافة وأزهار واخضرار يتسلق جدران البيت، وتعرفت هناك على أعمامها وأبنائهم وابنة عمها نحلة وأبناء عمها الثلاث المهاجرين والذين حالهم ليس ببعيد عن حالها، وحسنت هذه التعارف بالتقائها بوالدها وهو عاجز طريح الفراش فتضاربت الصور في عينيها بين أبيها في بروكلين وأبيها هذا الجامد الجثة وتعرفت على زوجته أي زوجة أبيها فتنة و العديد من القربيات الأخرى اللواتي زدنا من ذهول وصدمة زينة من تفكيرهن التافه وتهافتن على فكرة النصيب والزواج.

وأخذت فتنة بيد زينة وجابت بها العديد من المناطق منها وادي الجوز وهو حي قديم بالقدس الجديدة وعرفتها على مسكنهما وإلى حيفا التي كانوا أهلها نسخة عن أهل وطبائع أهل بيروت في اللبس والذوق.

وقصت عليها العديد من القصص وعند البيك والديوان الذي يجتمع فيه أكابر أهل القدس ، وشاركت زينة أهل وادي الريحان الاحتفال بمناسبة سيطرة الفلسطينيين على مدن الضفة ، وتشارك معها فتنة جراء فراقها عن أبيها في نيويورك من جهة ووصلها للجذور المقطوعة بالرجوع إلى دفيء وحنين الوطن والأهل وجاء هذا القرار بعد مراسلة عمها لها التي قال فيها بمعنى «عجلي قبل أن ينقطع الخيط وسقط حقلك في الميراث» والميراث عند سحر خليفة في شخصية " زينة" هو البلاد الذي طالما حلمت برؤيته، وحنان أهل ودفيء طفولته وتورد سحر خليفة والشخصيات والعقائد المتنوعة و طرق التفكير المتناقضة،

وفي روايتها تورد سحر خليفة ما قصته عليها "فتنة" ابنة القدس عن البيك الذي جاب العالم بحثا عن المجد والتجارب ليجد في نهاية الأمر أن القدس هي الأروع ، وفي الرواية أيضا يحتفل، الفلسطينيون الذين سيطروا على المدن في الضفة بهذه المناسبة، وتشارك بطلة الرواية فتنة في هذا

الاحتفال على الرغم أنها على وشك الولادة ولا ينجز الاحتفال بهدوء فسرعان ما ابتدأت الاشتباكات بين الطرفين الفلسطيني والإسرائيلي وتلد " فتنة" في نفس اللحظة وتحاول أمها والمحافظ نقلها إلى المستشفى، ولكنهما يفاجأ بجازر إسرائيلي وتظل فتنة تنزف حتى تموت ليعيها ابنها الوحيد لها ويرث ما خلفه أبوه المتوفي.

أما الجزء الثالث الذي ارتأت تسميته "بالتركة" بعد الصدمة التي شهدتها زينة بحقائق الواقع وحجم التغيرات التي أصابت الناس في بداية السلطة الوطنية حيث أصبح الهم الأول للكثيرين هو البحث عن المشاريع ذات الربح السريع، ولا أحد يأبه للرؤية المستقبلية للبلاد.

التعريف بالروائية

سحر خليفة واحدة من أهم الروائيين الفلسطينيين، ولدت في نابلس عام 1941م، تزوجت في سن مبكرة زواجا تقليديا، وبعد مرور ثلاثة عشر عاما من الإحباط وخيبة الأمل، قررت أن تتحرر من هذا الزواج وتكرس حياتها للكتابة¹.

الدكتورة سحر خليفة:

- من أول خريجي جامعة بير زيت بكالوريوس في الأدب الإنكليزي الأمريكي.
- حصلت على الماجستير في جامعة نورث كارولينا أمريكا في الأدب الإنكليزي الأمريكي.
- حصلت على الدكتوراه في الدراسات النسوية والأدب النسائي الأمريكي جامعة ايوا.

الخبرات العملية:

من 1970م-1972م: عملت في السفارة النيجيرية- طرابلس- ليبيا .
من 1973م-1980م: عملت في مكتب راالإعلام والمطبوعات في جامعة بيرزيت، ومديرة للمكتب ومحررة مسؤولة لمجلة " الغدير " .
من 1984م-1987م: عملت في جامعة " ايوا" مدرسة في دائرة اللغة الإنجليزية والدراسات النسوية.

من 1988م-2003م: أسست مركز شؤون المرأة والأسرة في مدينة نابلس، وكانت المديرية العامة للمركز، وهي حاليا متفرغة للكتابة².

البعثات والمنح الدراسية:

من 1972-1976م: أعفيت من الرسوم في جامعة بيرزيت بسبب التفوق وإدراجها في

لائحة الشرف.

¹ بسام أبو بشير، جماليات المكان في رواية باب الساحة، لسحر خليفة، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الأقصى 2007/04/17.

² نفس المرجع.

من 1978م-1980م: حصلت على منحة من مكتب البحوث و الدراسات/ جامعة بير زيت لكتابة رواية "عباد الشمس".

من 1980م-1982م: حصلت على بعثة " فولبرايت " لبرنامج الماجستير وأعفيت من الرسوم بسبب التفوق/ جامعة تورث كارولينا . من 1984م-1987م: حصلت على منحة من منظمة الطلبة العرب/ امريكا.

الجوائز التكريمية:

- 1984م: جائزة السلام من منظمة السلام للنساء المكونات/ أيوا.
- 1991م: ميدالية الصداقة من بلدية بولونيا تقديرا للعمل النسوي الفلسطيني- الإيطالي المشترك.
- 1996م: حصلت على جائزة البرتومورافيا للرواية الأجنبية.
- 1999م: حصلت على ميدالية قاسم أمين الذهبية للكتابات النسوية.
- 2004م: تكريم من الجامعة الأمريكية بمناسبة ظهور رواية " الميراث " باللغة الانجليزية.

القراءات والمحاضرات:

قدمت العديد من المحاضرات والقراءات الممسرحة بدعوة من جامعات ومؤسسات أدبية نسوية أذكر منها:

- جامعة أيوا/ برنامج الكتاب العالمي بدعوة من دائرة الثقافة الأمريكية، عام 1987م.
- جامعة جورج تاون/ محاضرة حول المرأة والتحول الإجتماعي في الشرق الأوسط، عام 1982م.
- جامعة استوكهولم/ محاضرة حول " المرأة في الشرق الأوسط " 1982م.
- جامعة ميونخ/ قراءة مسرحية ممتلئة محترفة+ محاضرة عام 1982م.
- الجامعة الأمريكية واشنطن/ محاضرة حول " المرأة في الأدب الفلسطيني " بدعوة من مؤتمر الخريجين العرب عام 1983م.

- جامعة بيروت العربية/ محاضرة بمناسبة يوم المرأة العالمي ، عام 1996م.

- الجامعة الأردنية/ محاضرة أدبية، عام 1988م.

دعوات من المؤسسات العالمية:

- اتحاد كنائس الشرق الأوسط قبرص/ محاضرة حول "الحركة النسائية" في العالم العربي بين المد والجزر " عام 1995م.

- المسرح التجريبي الحديث - جنيف - سويسرا من جمعية -IKKA- سويسرا/ محاضرة حول " المرأة الفلسطينية والانتفاضة مع قراءة مسرحية من " عباد الشمس".

- اتحاد الكتاب النمساويين - فينا/ محاضرة وقراءة مسرحية من " باب الساحة" الصادرة بالألمانية عام 1992م.

- اتحاد الكتاب الدولي - القاهرة/ محاضرة حول " صور المرأة في الأدب العربي"، عام 1994م.

- اتحاد الكتاب الألمان - فرع كولون - ألمانيا، قراءة مسرحية و محاضرة حول " مذكرات امرأة غير واقعية" الصادر باللغة الألمانية، عام 1990م.

- اتحاد الكتاب والصحفيين والتونسيين - تونس/ محاضرة حول " المرأة في الأدب الفلسطيني"، عام 1988م.

- مركز الطاهر حداد النسوي - تونس/ محاضرة حول " المرأة العربية والتحول الاجتماعي"، عام 1988م.

- الرابطة السويسرية - زيوريخ/ محاضرة حول " المرأة الفلسطينية والاحتلال"، عام 1985م.

- جولة قراءات مسرحية في ستة مدن سويسرية، وألمانية 1985م، والعديد من الدعوات من المؤسسات العالمية التي لا يسعنا المقام هنا لذكرها.

أعمالها الإبداعية:

- لم تعد جوارري لكم سنة 1974م.

- الصبار سنة 1976م.

- عباد الشمس 1980م.
- مذكرات امرأة غير واقعية 1986م.
- باب الساحة 1990م.
- الميراث سنة 2002م.
- صورة وأيقونة وعهد قديم سنة.
- ربيع جار سنة 2004م.
- أصل وفصل سنة 2009م.
- حي الأول سنة 2010.
- أرض وسماء سنة 2013.

وجميدها ترجمت بلغات أجنبية أذكر منها: الإنجليزية، الفرنسية، الألمانية، الإيطالية، الهولندية، الدانماركية، النرويجية، الروسية، اليونانية، الأندوسية، الكورية، العبرية.

ومن خلال هذه الأعمال تمتعت الروائية والكاتبة والناشطة النسوية سحر خليفة بحضور عربي وعالمي، تميزت أعمالها الروائية بتأكيداتها على إيمانها العميق بأن وعي المرأة النسوية هو جزء لا يتجزأ من وعيها السياسي، وبأسلوب مقنع، أن نضال المرأة الفلسطينية والمحن التي بها هي جزء من النضال السياسي الفلسطيني العام من أجل تحرير فلسطيني، ورغم أنها تكتب بالعربية الفصيحة، فإن لها قدرة عجيبة على استعارة الفلسطينية، وتعبيراتها بالدارجة عندما يقتضي حال الحوار في الرواية.

الفهرس

3	شكر وعرهان
أ	مقدمة
5	مدخل
6	الفصل الأول: المكان وفلسفته
6	المبحث الأول: المكان بين الماهية والمفهوم
6	أولاً: المكان لغة
8	ثانياً: المكان اصطلاحاً
8	أ- المفهوم الفلسفي للمكان:
8	ب- المفهوم النقدي للمكان:
10	ج- المفهوم الأدبي للمكان:
11	ثالثاً: أهمية المكان في البناء الروائي
12	رابعاً: أنواع المكان
12	أ. المكان الأليف:
12	ب. المكان المعادي:
15	خامساً: أبعاد المكان:
15	أ. البعد الجغرافي:
15	ب. البعد الاجتماعي:
15	ج. البعد التاريخي:
16	د. البعد النفسي:
16	هـ. البعد الهندسي:
16	و. البعد الفيزيائي:
16	سادساً: دلالات المكان
17	أ. الدلالة الدينية:
17	ب. الدلالة التاريخية:

17.....	ج. الدلالة التعبيرية:
19.....	المبحث الثاني: علاقة السيمياء بالمكان
19.....	أولاً: مفهوم السيمياء.....
19.....	أ. لغة:
20.....	ب. اصطلاحاً:
23.....	ثانياً: سيميائية المكان.....
25.....	الفصل الثاني: تجليات المكان في رواية الميراث.....
26.....	مدخل :
27.....	❖ العتبات النصية لرواية الميراث :
27.....	1- سيميائية الغلاف لرواية " الميراث "
28.....	2- سيميائية عنوان الرواية " الميراث ":
30.....	3- سيميائية الإهداء:
30.....	4- سيميائية الاستهلال :
32.....	المبحث الأول: المكان ودلالته في رواية الميراث
32.....	الأماكن المفتوحة والأماكن المعلقة :
33.....	1- الأماكن المغلقة:
37.....	2- الأماكن المفتوحة:
46.....	المبحث الثاني: المكان وعلاقته النصية في رواية الميراث
47.....	1- شخصيات رواية " الميراث "
47.....	أ- الشخصيات الرئيسية:
49.....	ب- الشخصيات الثانوية:
50.....	2- علاقة المكان بالشخصية.....
51.....	أ- علاقة انتماء:
52.....	ب- علاقة التنافر :
53.....	3- علاقة المكان بالزمان:

55	4- النسق الزمني في رواية الميراث"
55	أ- السرد الاستذكاري (الاسترجاع)
56	ب- الاستشراف:
57	ج- الاستباق:
58	5- علاقة المكان بالحدث:
62	الخاتمة
65	قائمة المصادر والمراجع
70	الملاحق
78	الفهرس